

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945 قالمة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ



السياسة الإستعمارية الفرنسية في الجنوب الشرقي الجزائري وأبرز المقاومات الشعبية 1844-1930م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر

إشراف الدكتور:

عبد الكريم قرين

إعداد الطلبة:

- رانية دواخة
- شيماء بجاوي

لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
شايب قدارة	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
عبد الكريم قرين	أستاذ محاضر "أ"	مشرفا ومقررا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
غربي حواس	أستاذ محاضر "أ"	عضوا مناقشا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية: 2023-2024م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَن تَبْتَغِيَ لِلنَّفْسِ إِلَّا مَا سَعَى

وَأَن تَسْعِيَ سَوْفَ يُرَى

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمِ



شكر و عرفان

{...رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخُلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} سورة النمل الآية 19 .

بداية نشكر الله العلي القدير الذي وفقنا لإتمام هذا العمل، فله الحمد والشكر ليلاً و نهاراً.

نشكر أستاذنا الفاضل: "قرين عبد الكريم" على تفضله بالإشراف، ليكون المرشد والموجه لنا في إنجاز هذا البحث، والذي رافقنا طيلة فترة إعدادنا للمذكرة .

ونحن نخطو خطواتنا الأخيرة بالحياة الجامعية لابد من وقفة لنعود إلى أعوام قضينا رحاب الجامعة

مع أساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير، وقبل أن نمضي نقدم أسمى عبارات الشكر والإمتنان والتقدير والمحبة إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة... إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة..... إلى أساتذتنا الأفاضل .

نشكر جميع أساتذة قسم العلوم الإنسانية وأخص بالذكر أساتذة التاريخ الذين لم يبخلوا علينا بتوجيهاتهم ونصائحهم.



الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي ما نجحنا و لا علونا و لا تفوقنا إلا برضاه الحمد لله
حباً و شكراً و امتناناً على البدء و الختام .

{وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}

لم تكن الرحلة قصيرة و لا الطريق محفوفاً بالتسهيلات ، لكنني فعلتها فالحمد لله الذي يسر
البدايات و بلغنا النهايات بفضلته و كرمه .

اهدي هذا النجاح لنفسي أولاً التي ابتدأت بطموح و انتهت بنجاح ثم الى كل من سعى معي
لاتمام مسيرتي الجامعية دمتم لي سنداً لا عمر له .

و بكل حب اهدي ثمرة نجاحي و تخرجي :

إلى من كلل العرق جبينه و من علمني أن النجاح لا يأتي إلا بالصبر و الإصرار إلى النور
الذي أنار دربي و السراج الذي لا ينطفئ نوره بقلبي أبداً إلى من أحمل اسمه بكل فخر إلى
من استمدت منه قوتي و اعتزازي بذاتي

{والدي أطال الله في عمره}

أهدي تخرجي إلى جنة الله في الأرض :

إلى من علمتني الأخلاق قبل الحروف إلى الجسر الصاعد بي إلى الجنة ، إلى الداعمة
الأولى في حياتي إلى من أبصرت بها طريق حياتي إلى القلب الحنون من كانت دعواتها
تحيط بي دائماً

{والدتي حفظها الله و رعاها}

إلى ملهمي نجاحي صناع قوتي صفوة أيامي و سلوة أوقاتي إلى الشموع التي تنير لي
الطريق

{إخوتي دمتم لي سنداً لا عمر له}

و ختام هذا الإهداء يكون إلى صاحبة الفضل العظيم إلى صديقة الرحلة و النجاح إلى من
وقفت بجانبني كلما أوشكت أن أتعثر {رانية}
و في الختام الحمد لله الذي أوقد شعلة العلم حتى أسعى لها.

{شيماء}



الإهداء

الحمد لله حبا وشكرا وامتنانا على البدء والختام

{وَأخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}

أرى أن مرحلتي الدراسية قد شارفت على الإنتهاء بالفعل، بعد تعب ومشقة دامت سنين في سبيل الحلم والعلم حملت في طياتها أمنيات الليالي، وأصبح عنائي اليوم للعين قررة، ها أنا اليوم أقف على عتبة تخرجي وأقطف ثمار تعبتي وأرفع قبعتي بكل فخر، فاللهم لك الحمد قبل أن ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا، لأنك وفقنتني على إتمام هذا النجاح وتحقيق حلمي.

وبكل حب أهدي ثمرة نجاحي وتخرجي:

إلى الذي زين اسمي بأجمل الألقاب، من دعمني بلا حدود وأعطاني بلا مقابل،
سندي الأول في مسيرتي وقوتي وملاذي بعد الله، فخري
وإعتزاري: والدي.

إلى من جعل الجنة تحت قدميها، واحتضنتني قلبها قبل يديها وسهلت لي الشدائد
بدعائها: والدتي.

إلى من بهم أكبر وعليهم أعتمد ومن بوجودهم أكتسب قوة ومحبة لا حدود لها
إخواتي وأخي (سارة، ملاك، سفيان).

إلى كل الذين وقفوا معي دائما وساندوني خلال مسيرتي التعليمية.

إلى التي من شاركتني لحظات الدراسة وإنجاز المذكرة الصديقة والرفيقة

"رانيا"

"شيماء"

مقدمة

بعد أن بسط الاحتلال الفرنسي سيطرته الكاملة على الجزء الشمالي من الجزائر، وجه أنظاره نحو المناطق الجنوبية كونها قاعدة خلفية للمقاومات الشعبية، ومركز لتجديد المقاومة وذلك لإستكمال فرنسا مشروعها الإستعماري الذي يهدف في مقدمته إلى ربط المستعمرات الفرنسية في إفريقيا ببعضها البعض، ويسهل عليه عملية تنقل جيوشها والسيطرة على الطرق التجارية الصحراوية، ولتحقيق هذه الأهداف استخدمت السلطة الفرنسية عدة وسائل استخباراتية أهمها البعثات الإستكشافية وذلك من أجل التعرف على خبايا الجنوب عامة والجنوب الشرقي خاصة لتسهيل عليها عملية التوغل في هذا الأخير والتي عجلت من عملية غزوه، خاصة بعد استفادتها من التقارير الاستخباراتية الجغرافية والحضارية للصحراء الجزائرية.

حيث كانت بسكرة أول منطقة تخضع للسيطرة الفرنسية وكان ذلك سنة 1844م باعتبارها بوابة الصحراء من الجهة الشرقية ومن هنا انطلقت إلى باقي المناطق الأخرى كالأغواط وورقلة ووادي ريغ، ولبسط نفوذها أكثر على مناطق الجنوب الشرقي عملت وفق استراتيجية مدروسة وأساليب استدمارية مختلفة لتحطيم البنية الاجتماعية والإقتصادية والقضاء على الشخصية الوطنية الإسلامية.

الإشكالية:

منذ أن وطأت أقدام الاستعمار الفرنسي أرض الجزائر سعى لبسط نفوذه وإحكام سيطرته على الصحراء الجزائرية وغرس مبادئه القائمة على الإستيطان وتحقيق مقولة الجزائر فرنسية وذلك وفق أساليب محددة اختلفت من منطقة إلى أخرى استخدمها للتحصير لعملية التوسع والسيطرة على إقليم الجنوب الشرقي، ومن هنا نطرح الإشكال الآتي:

فيما تمثلت الأساليب والطرق التي إنتهجتها السلطات الاستعمارية الفرنسية لتثبيت دعائمها بالجنوب الشرقي الجزائري؟ ومدى إسهام هذه السياسات في إخضاع هذه المنطقة؟

ولتوضيح هذه الإشكالية أكثر نطرح التساؤلات التالية والتي سنحاول من خلال بحثنا المتواضع أن نصل لبعض الإجابات، محاولة منا بلوغ نوع من المعرفة لما كانت عليه منطقة الجنوب الشرقي في الفترة الممتدة من 1844م-1930م:

_ فيما يتمثل الإطار الجغرافي للجنوب الشرقي؟

_ كيف ساهمت البعثات الإستكشافية التجسسية التوغل في الجنوب الشرقي؟

_ ما هي الدوافع والأسباب التي جعلت فرنسا توجه أنظارها نحو إقليم الجنوب الشرقي؟

_ ماهي المجريات التي قامت بها السلطات الاستعمارية للتغلغل تدريجيا نحو مناطق الجنوب الشرقي؟

_ ماهي المجالات التي مستها السياسة الفرنسية الاستعمارية للسيطرة الكاملة على الصحراء الشرقية؟

_ كيف قاوم سكان هذه المنطقة قوات الإحتلال وسياسته التعسفية؟

أهداف الموضوع:

_ يكمن الهدف من هاته الدراسة من معرفة السياسة التي انتهجتها فرنسا لتثبيت دعائمها في الجنوب الشرقي.

_ السعي إلى تغطية النقص الذي تشهده مكتباتنا فيما يخص تاريخ الصحراء الجزائرية عامة والشرقية خاصة خلال الحقبة الإستعمارية.

_ الإلمام بالتحويلات التي شهدها إقليم الجنوب الشرقي في ظل الإستعمار الفرنسي وأثر هذه التحويلات.

_ إبراز مدى صمود مجتمع الجنوب الشرقي في وجه المحتل الفرنسي.

أسباب إختيار الموضوع:

_ ندرة الدراسات التاريخية التي تتناول السياسة الاستعمارية الفرنسية في الصحراء الشرقية.

_ إضفاء الطابع الأكاديمي على الموضوع لرصد فترة تاريخية هامة من تاريخ الجنوب الشرقي.

_ الميل إلى دراسة التاريخ المحلي لمنطقة الجنوب الشرقي وضرورة الدفع والتشجيع للبحث في هذا التاريخ.

حدود الدراسة:

يمتد الإطار الزمني لموضوع بحثنا من 1844م والذي يمثل تاريخ دخول القوات الفرنسية وإستيلائها على أول منطقة في إقليم الجنوب الشرقي وهي بسكرة التي تبعتها جملة من التحولات في شتى المجالات جراء السياسة التعسفية التي طبقتها فرنسا. وبهذا تعتبر هذه الفترة بداية التغلغل نحو الجنوب الشرقي الجزائري والسيطرة عليه، إلى غاية سنة 1930م الذكرى المئوية لإحتلال الجزائر التي ظنت وقتها الإدارة الإستعمارية أنها فرنست الجزائر نهائيا.

وللإجابة على الإشكالية المطروحة سابقا قمنا بإعداد خطة التي تحمل في طياتها ثلاثة فصول يسبقهم فصل تمهيدي.

تطرقنا في الفصل التمهيدي إلى الإطار الجغرافي للجنوب الشرقي والمناطق التي يضمها بالإضافة إلى اهم الدوافع والأسباب التي جعلت من الصحراء الشرقية مطمعا للإحتلال، كما تطرقنا إلى ذكر بعض البعثات الإستكشافية التي مهدت للإستيلاء على هذا الإقليم.

أما الفصل الأول ينطوي تحت عنوان بدايات توغل الإستعمار الفرنسي نحو الجنوب الشرقي يندرج تحته أربع مباحث في كل مبحث تحدثنا عن كيفية السيطرة ومد النفوذ في كل منطقة من مناطق الجنوب الشرقي وقد جاءوا على الترتيب التالي: المبحث الأول الاحتلال الفرنسي لمنطقة بسكرة، المبحث الثاني الاحتلال الفرنسي للأغواط، المبحث الثالث الاحتلال الفرنسي لورقلة، المبحث الرابع الاحتلال الفرنسي لمنطقة وادي سوف.

كما جاء الفصل الثاني معنوناً بـ الأساليب الإستعمارية الفرنسية في الجنوب الشرقي الجزائري يتضمن أربع مباحث تناولنا في المبحث الأول السياسة الاجتماعية مبرزين أهم الطرق التي إنتهجتها فرنسا لتفكيك البنية الاجتماعية لهذه المنطقة، أما في المبحث الثاني فقد تحدثنا عن السياسة الاقتصادية والقوانين الاقتصادية التعسفية ضد السكان وما نتج عنها، وجاء المبحث الثالث بعنوان السياسة العسكرية الذي تضمن أهم المخططات العسكرية الفرنسية في الصحراء الشرقية، وفي المبحث الأخير لهذا الفصل خصصناه بذكر السياسة الدينية والتعليمية والتي حاولت من خلالهما طمس الهوية الوطنية والقضاء على مقومات وتعاليم الدين الإسلامي.

وختمنا بحثنا بفصل ثالث وأخير تناولنا فيه أبرز المقاومات الشعبية التي ظهرت في الجنوب الشرقي في الفترة التي نحن معنيون بدراستها (1844م-1930) وهي: مقاومة الشريف محمد بن عبد الله، ومقاومة ابن ناصر بن شهرة، ثورة الشريف بوشوشة.

وأخيرا الخاتمة التي هي حوصلة تضمنت أبرز وأهم النتائج المتوصل إليها من خلال دراسة موضوع البحث.

وفي دراسة موضوعنا هذا اعتمدنا على المناهج الآتية:

- **المنهج التاريخي الوصفي:** وقد طبقناه في رصد الأحداث وترتيبها ترتيباً كرونولوجياً ووصفها حسب كل مرحلة من المراحل الواردة في خطة البحث.

- المنهج الإحصائي: وذلك بذكرنا لبعض الإحصاءات من تعداد للقوات العسكرية والخسائر البشرية خلال المعارك.

الدراسات السابقة

تجدر الإشارة إلى أن هناك دراسات تاريخية هامة لا يمكن للباحث في مجال هذا الموضوع تجاوزها، وقد كانت جد متنوعة من حيث النوع فهناك مصادر ومراجع من حيث الشكل نجد الكتب بالمجلات، والرسالات الجامعية...

- الكتابات والدراسات الفرنسية:

_ كتاب الجنرال دumas "Le Sahara Algérien" الذي وصف من خلاله منطقة ورقلة التي زارها سنة 1842 وتطرق إلى عمرانها وقصورها.

_ كتاب تروملي الفرنسيون في الصحراء يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية الذي زار منطقة ورقلة سنة 1853م، وقد أفادنا في وصف هذه المنطقة وتطرق إلى عمرانها وقصورها.

- المصادر باللغة العربية:

_ كتاب حسن بن محمد الوزان الفاسي "وصف إفريقيا" الذي اعتمدنا عليه في وصف الصحراء.

_ عبد الإله محمد العياشي الرحلة العياشية 1661م-1663م الذي وصف لنا هو الآخر منطقة وادي سوف.

- المراجع:

_ ابراهيم مياصي الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837م-1934م الذي أفادنا في التعرف على دوافع إحتلال الجنوب الشرقي، وبدايات التوغل فيه.

__ أحميدة عميراي وآخرون السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844م-1916م الذي اعتمدنا عليه في الكشف عن السياسة الاقتصادية المتمثلة في سياسة الإفقار والقوانين الاقتصادية التعسفية.

• رسائل جامعية:

__ داود الشريف "التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الجزائري 1844م-1912م" الذي اعتمدنا فيه على النتائج التي خلفتها السياسة الاقتصادية في إقليم الجنوب الشرقي.
__ رضوان شافو "الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الإستعماري ورقلة أنموذجا 1844م-1962م" والذي اعتمدنا فيه على أصل تسمية ورقلة، بالإضافة إلى معلومات تجهيز وإنطلاق الحملة الفرنسية على منطقة ورقلة.

• صعوبات البحث:

لا يوجد بحث يخلوا من الصعوبات وإلا كيف لنا أن نتذوق ثمرة جهدنا، من الصعوبات التي واجهتنا:

__ توسع الموضوع وتشعب عناصره مما صعب علينا الإمام بجميع نواحيه خاصة أنه بإمكان الباحث ان يجعل من سياسة واحدة موضوعا للدراسة.

__ اصطدام رغبتنا في إعداد عمل ناجح ومفيد مع نقص الإمكانيات التي لم تسمح لنا إثراء الموضوع بالمزيد من الدراسات.

__ افتقار مكتبات ولايتنا سواء الجامعية أو الخارجية لبعض المراجع التي توفر المادة العلمية المتعلقة بالموضوع.

الفصل التمهيدي

لمحة عامة عن إقليم الجنوب الشرقي الجزائري

المبحث الأول: الموقع الجغرافي لإقليم الجنوب الشرقي

المبحث الثاني: دوافع إهتمام الإستعمار الفرنسي بالجنوب الشرقي

المبحث الثالث: البعثات الإستكشافية الفرنسية للجنوب الشرقي

المبحث الأول: الموقع الجغرافي لإقليم الجنوب الشرقي
تتطلب منا الدراسة التاريخية معرفة المجال الجغرافي للمنطقة المراد دراستها، إذ تعتبر الجغرافيا مسرح الأحداث التاريخية، ولدراسة السياسة الاستعمارية في الجنوب الشرقي يلزم معرفة الإطار الجغرافي لهاته الرقعة الجغرافية.

المطلب الأول: الموقع الجغرافي للجنوب الشرقي

يعد الجنوب الجزائري جزءا من الصحراء الإفريقية الكبرى¹ التي تغطي مساحة تقدر بـ 08 ملايين كلم يشترك فيها كل من جنوب المغرب والجزائر وتونس وجنوب السودان²، أما الصحراء الجزائرية فتبلغ مساحتها 1.987.600 كلم³، وبذلك فهي تحتل مساحة واسعة تتجاوز نسبة 90 من مساحة القطر الجزائري⁴.

وتنقسم الصحراء الجزائرية من حيث التكوين الطبيعي الى اقسام رئيسية. بحيث يقع الجنوب الشرقي في القسم الأول في الزاوية الشمالية الشرقية، يتميز بمنخفض بحوالي أربعة وعشرين مترا تحت مستوى سطح البحر، بينما الأراضي المجاورة لا يزيد سطحها على ارتفاع مائتي متر، ولهذه الأراضي أهمية اقتصادية تتمثل في انتشار الواحات منها: واحات الزيبان شمالا، واحات وادي سوف، ووادي ريغ وورقلة جنوبا، كما انها تزخر بكميات معتبرة من البترول⁵.

لقد وصف العديد من الرحالة الصحراء من خلال رحلاتهم إليها، نذكر من بين هذه الرحلات رحلة "العياشي" الى الصحراء الجزائرية تحديدا الى منطقة وادي ريغ في الرابع عشر من جمادى الثانية فجاء في قوله أنها: "بلدة كثيرة العمارة والنخيل"، كذلك وصف وادي سوف قائلا: "هي خط من النخل مستعرض في وسط الرمل قد غلب على أكثره، وفيه

¹ إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1996م، ص19.

² رفاف شهرزاد، "الاستكشافات الأوروبية للصحراء الجزائرية من القرن 19م"، مجلة مدارات تاريخية، مج 01،

بشار، أبريل 2019م، ص191.

³ أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، 2001م، ص12.

⁴ رفاف شهرزاد، المرجع نفسه، ص191.

⁵ إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837م-1934م، دار هومة، الجزائر، 2012م، ص12، 13.

بلاد عديدة، وماؤها طيب غزير قريب من وجه الأرض¹. أيضا الرحالة "حسن بن محمد الوزان" هو الآخر قام برحلة إلى الصحراء فذكرها بأنها: "مجموعات صغيرة تشبه الضيعات أو القرى بجوار واحات صغيرة جدا"².

المطلب الثاني: المناطق التي يضمها الجنوب الشرقي

❖ بسكرة:

تتميز منطقة بسكرة بموقعها الجغرافي الهام الذي يعد حلقة وصل بين الجنوب الشرقي الصحراوي والشمال الشرقي التلي للقطر الجزائري³، حيث تمتد هذه المنطقة بمحاذاة الحدود التونسية وجبال الأوراس في الشمال كحاجز طبيعي يفصلها عن التل، أما القسم الجنوبي فتغطيه الكثبان الرملية المتقطعة بشط ملغيغ وواحات وادي سوف ووادي ريغ⁴. ومدينة بسكرة من أهم وأشهر الواحات الصحراوية الجزائرية وتدعى أيضا ملكة الجنوب⁵، إذ نجد "حمزة العاتي" في مجلة الزيبان يحدد الموقع الجغرافي لها أيضا فيقول: "توجد بسكرة في وسط إقليم الزاب، وهي تمتد في سهل واسع يحدها وادي بسكرة من الشرق ووادي الجدي من الجنوب وإرتفاعها على مستوى سطح البحر يقدر ب 118م"، أما عن أصل التسمية فيقول هناك عدة أطروحات منها أصلها الروماني فيسيريا بمعنى المحسب ومنها سكرة لحلاة تمرها⁶.

1 عبد الإله محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661م-1663م، مج الأول، تح سعد الفاضلي، سليمان القرشي، دار السويدي، الإمارات، 2006م، ص 119-123.
2 حسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 02، 1983م، ص 65.
3 إبراهيم مياشي، المرجع السابق، ص 27.
4 إبراهيم مياشي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م، ص 40.
5 إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تع الجيلاني بن إبراهيم العوامر، منشورات ثالة، الجزائر، ط 02، 2009م، ص 31.
6 حمزة العاتي، "بسكرة عبر التاريخ"، مجلة الزيبان، 07ع، الجزائر، أبريل 1984م، ص 11.

❖ ورقة:

منطقة ورقلة إحدى الواحات الشهيرة بكثرة نخيلها وجودة ثمرها، تقع على مسافة 160 كلم جنوبي واحة تقرت¹. حيث نجد أن الرحالة الجغرافيون والمهتمين بتاريخ هذه المنطقة اختلفوا في كتاباتهم حول تسميتها وجاء ذكرها بأسماء مختلفة: كورجلان، ورقلان، وركلان، وركلا، وركلي، وركلة. فحسب أقوال بعض المؤرخين المسلمين نجد "البكري" يذكرها وارجلان، و"الإدريسي" وارقلان، في حين يسميها "إبن سعيد المغربي" و"إبن حوقل" وارقلان²، أيضا ذكرها "ياقوت الحموي" في معجمه ورجلان³. أما الكتاب والرحالة الغربيون أمثال: "لارجو Largeau"، "دوماس Daumas"، "دونني بيلى Denys Pilet"، "دوفريي Duveyrier"، "بول سولاىي P.Soleillet" وغيرهم ذكروها باسم ورقلة⁴.

حيث وصف "دوماس Daumas" في كتاباته ورقلة قائلا: "هاته القرية الصغيرة بمقدار ست مئة منزل يحميه جدران بإرتفاع إنسان وغرف للأطفال صغار مفتوح على باب صغير يقيم فيها سبعة أشخاص"⁵.

كذلك طرح "عبد الحميد زوزو" في كتابه محطات في تاريخ الجزائر إختلاف الآراء بين "دوماس Daumas" و"فيرو Véro" حول منطقة ورقلة حيث يقول "دوماس Daumas" الذي زارها سنة 1842م أنه يوجد بها ثلاثة مساجد، في حين يقول "فيرو Véro" بها مسجدين فقط⁶.

¹ إبراهيم محمد الساسي العوامر، المرجع السابق، ص35.

² رضوان شافو، الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري ورقلة أنموذجا 1844م-1962م، مذكرة دكتوراه في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، 2012م، ص30.

³ ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، مج الخامس، بيروت، 1977م، ص371.

⁴ رضوان شافو، المرجع نفسه، ص31.

⁵ Daumas, le Sahara Algérien, études géographique, statique et historique sur la région au sud des et établissements Français, paris, 1845, p144.

⁶ عبد الحميد زوزو، محطات في تاريخ الجزائر دراسات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية على ضوء وثائق جديدة، دار هومة، الجزائر، 2005م، ص86.

❖ تقرت:

تقع مدينة تقرت بين بسكرة جنوبا من ناحية، ووادي سوف غربا من ناحية أخرى، لها أهمية إقتصادية لوجودها قرب منابع البترول¹. فإدارة دائرة تقرت في مدينة بسكرة التي هي الحد بين الترابين المدني والعسكري. وكل واحات دائرة تقرت تقع في وهاد لا تكاد ترتفع مائة متر عن سطح البحر والمياه تتسرب إليها من النواحي المجاورة تحت الأرض، ثم تنبع فيها فتكون فيها الحياة والنعيم². إذ كانت مركزا إداريا للمنطقة العسكرية في عهد الاحتلال الفرنسي ومركزا تجاريا وفلاحيا اختارها المعمرون الأجانب، ذلك نظرا لحسن موقعها³.

❖ غرداية:

هي عاصمة بلاد ميزاب وأم المدن الميزابية⁴ مبنية على شكل هرمي تعلو قمته منارة المسجد، ترتفع ب 530 مترا عن سطح البحر وواحتها تمتد على طول 7 كيلومترات وبها 60000 نخلة وجملة سكانها 11503 نسمة⁵.

تعتبر مدينة غرداية من أهم المدن التجارية بالواحات وسوقها من كبرى الأسواق نشاطا، واشتهرت بالمصنوعات الجلدية مثل الأحذية ذات الطابع الصحراوي وأيضا المصنوعات الصوفية مثل البرنس والجلابية ذات الرسوم الهندسية.

وأهل هذه المنطقة هم الميزابيون الذين نزحوا إلى جنوب ورقلة في بادئ الأمر عندما انتهت الدولة الرستمية التي حلت محلها الدولة الفاطمية. ثم انتقلوا نهائيا من جنوبي ورقلة إلى الشبكة وشرعوا يؤسسون مدنهم نذكر من بينهم: مدينة مليكة، مدينة بني يزقن، مدينة نورة، والعطاف ومثليي، وبريان وقرارة وغير ذلك⁶.

¹ إبراهيم محمد الساسي العوامر، المرجع السابق، ص32.

² أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص183.

³ إبراهيم محمد الساسي العوامر، المرجع نفسه، ص32.

⁴ المدن الميزابية وهي سبعة: غرداية، بني يزقن، بنورة، مليكة، والقرارة، العطف، وبريان. ينظر أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص183.

⁵ أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر...، المرجع السابق، ص106.

⁶ إبراهيم محمد الساسي العوامر، المرجع نفسه، ص37،38.

❖ وادي سوف:

تقع سوف في الجنوب الشرقي من القطر الجزائري، يحدها من الشمال جبال الأوراس النمامشة ومن الشرق الحدود الجزائرية ومن الجنوب الصحراء الليبية الجزائرية ومن الغرب واحات وادي ريغ. وسوف عبارة عن مسطح تغطيه كثبان رملية يتواجد على التخوم الشمالية للعرق الشرقي الكبير ومحاط بثلاثة شطوط او سبخات وهي شط وادي ريغ من الغرب وشط مروانة وشط ملغيغ وشط الغرسة من الشمال وشط الجريد من الشرق¹.

ذكر "العوامر" أنها سميت بسوف لأن أهلها الأولين كانوا يلبسون الصوف من أغنامهم لعدم وجود غيره من المنسوجات عندهم، وقيل أيضا أنه كان بها رجل صاحب حكمة يسمى ذا السوف فسميت هذه الأرض به².

❖ وادي ريغ:

يقع إقليم وادي ريغ في الركن الشمالي الشرقي للصحراء الجزائرية وهو أحد المكونات الرئيسية للصحراء المنخفضة التي تضم مناطق الزيبان ووادي سوف ومنخفض ورقلة.

وهو عبارة عن إقليم مستطيل الشكل طوله حوالي 160 كلم وعرضه يتراوح بين الثلاثين والأربعين كلم، ويبدأ شمالا من عين الصفراء قرب بلدة أم الطيور وينتهي جنوبا بقرية القوق قرب بلدة عمر جنوب تقرت، يحده من الشمال شط ملغيغ، ومن الجنوب ورقلة، ومن الشرق العرق الشرقي الكبير، ومن الغرب هضبة وادي ميزاب. وما يميز هذا الإقليم موقعه الإستراتيجي إذ يعتبر حلقة وصل بين الجنوب الشرقي والشمال الشرقي للقطر الجزائري³.

ونجد "توفيق المدني" في كتابه **جغرافية القطر الجزائري** ذكر وادي ريغ على أنه ينحدر من هضبة الصحراء نحو شط ملغيغ، فتكون موالية لواحات تقرت، وتماسين، ثم جامعة وغيرها من بدائع الواحات الجزائرية⁴.

¹ إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص145،146.

² إبراهيم محمد الساسي العوامر، المرجع السابق، ص42.

³ رضوان شافو، "دور منطقتي وادي ريغ ووادي سوف في دعم وتموين منطقة الأوراس قبيل وخلال الثورة التحريرية"، مجلة البحوث والدراسات، ع09، منشورات المركز الجامعي، الوادي، جانفي 2010م، ص61.

⁴ أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر...، المرجع السابق، ص42.

أما من ناحية التسمية فلقد اختلف الرحالة والمؤرخون العرب القدامى في ذلك، فقد سماها "ابن خلدون" في تاريخه "بلاد ريغ" أو "أرض ريغ" أمّا "ياقوت الحموي" في معجمه فسمّاها "بالزاب الصغير" أو "ريغ"¹.

¹ رضوان شافو، المرجع السابق، ص61.

المبحث الثاني: دوافع إهتمام الإستعمار الفرنسي بالجنوب الشرقي

بعد نجاح فرنسا في السيطرة على قسنطينة سنة 1937 , أصبحت تفكر في الزحف نحو الجنوب الشرقي والتوسع في أطراف الصحراء انطلاقا من بسكرة الى منطقة ورقلة ومن الاغواط الى تقرت ووادي سوف وهذا راجع لجملة من الدوافع والأسباب التي يمكن تلخيصها فيما يلي:

المطلب الأول: الدوافع السياسية:

عمل الفرنسيون على الاستلاء على الصحراء الشرقية لما لها من أهمية استراتيجية من الدوافع السياسية التي جذبت الاستعمار الفرنسي هي الصراعات الداخلية وسياسية¹. ف بين القبائل, مثلا عند وصول القوة العسكرية الفرنسية الى مشارف مدينة الاغواط سارع احمد سالم بإرسال أخيه الى القائد الفرنسي ليقدم له الولاء ويطلب منه ان يمنحه منصب الخليفة بالأغواط بقصورها الخمس (العسافية , قصر الحيران, تاجمون , عين الماضي , الحويطة) بدلا عن (الأرباح والحرازلة وبني مزاب) حينها أدرك الجنرال " ماري مونج " **Mary Monge Bugeaud** أهمية هذه المسألة و راسل الوالي العام المارشال "بيجو" **Mary Monge** و ذكره بأهمية الصحراء الشرقية سياسيا واستراتيجيا , من جهة اعتبارها همزة وصل بدواخل افريقيا و من جهة أخرى مزاحمة الأمير عبد القادر فيها لحرمانه من مصادرها². أكد الجنرال في تقريره على ضرورة تنظيم الأغواط وهذا حتى يتمكن من تحصيل ثلاث فوائد أساسية:

- جعل الأغواط مركزا إداريا وسياسيا وتجاريا للمراقبة العسكرية.
- قطع كل الاتصالات بين شرق البلاد وغربها واخضاع أي تحرك في هذه المضاربة للمراقبة.

¹ عطلاوي عبد الرزاق، "الصحراء الشرقية والسياسة الاستعمارية الفرنسية -قراءة في تاريخية الاحتلال"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، مج02، ع 04، ديسمبر 2016، ص 155.

² إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي ...، المرجع السابق، ص101.

- وضع أكثر المناطق تمردا مع أولاد سيدي الشيخ بين ايدي خليفة قوي مدعما بالقوات العسكرية لشعبة وهران.¹

ونجد أيضا منطقة وادي سوف هي الأخرى شكلت أهمية في المشروع الاستعماري في الجنوب الشرقي الجزائري لما تكتسبه من أهمية سياسية واستراتيجية حيث اعتبر إقليم وادي سوف منطقة عبور الى تونس وطرابلس وهو مجال مواصلات مفتوح يسهل التنقلات بكل أشكالها ويوفر الأمن للحدود الجنوبية الشرقية وهذا لتسهيل التحرك في ظروف آمنة تخدم التوسعات العسكرية.²

المطلب الثاني: الدوافع العسكرية

شكل الجنوب الشرقي أولوية عسكرية للسلطة الفرنسية، التي كانت في صراع مع القوي الأوروبية المتنافسة في السيطرة على تونس وليبيا، وهو ما جعل اخضاع الجنوب الجزائري ضروريا حتى تكون القوات الفرنسية قريبة لأي حركة على حدود هذه البلدان واستغلالها عند الحاجة اليها³. فقد كانت بريطانيا في وقت ما تسعى للتوغل اليها الى ان أبرم بينها وبين فرنسا ما يقضي بجعل كل أراضي الجنوب الجزائري خاضعة للنفوذ الفرنسي يوم 06 أوت 1890⁴.

عملت فرنسا على محاولة حصار تونس عسكريا واقتصاديا من ناحية الجنوب الشرقي بحكم التبادلات التجارية والعلاقات الاجتماعية بين منطقتي الجريد التونسي وواد سوف تمهيدا لفرض الحماية عليها واحتواء الثورات الشعبية والحركات التحريرية في مستعمرات فرنسا الإفريقية⁵.

¹ إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص 104.

² موسى بن موسى، الحركة الإصلاحية بواد سوف نشأتها وتطورها (1900-1939)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة المنتوري، قسنطينة، 2006، ص 30.

³ المرجع نفسه، ص 32.

⁴ عريق صفاء، المشاريع الفرنسية في الصحراء الجزائرية خلال الثورة التحريرية (1954-1962)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص 29.

⁵ إبراهيم مياسي، المرجع نفسه، ص 125.

تتمثل أهمية المنطقة على الصعيد العسكري فيما أشار اليه الجنرال "بيلسسيه" بعدما مد نفوذه الى غرداية وأكد على ضرورة احتلالها كونها تمثل أهم المراكز المتقدمة ضمن نفوذ السلطة الفرنسية في الجنوب وذلك على خط بسكرة بوسعادة والأغواط والبيض، وقد إعتبرت احتلال الأغواط إنجازا هاما في توسعها نحو الصحراء الجزائرية وذلك للأهداف التالية:

- تعبئة أولاد نائل والأرباع وحصرهم وراء جبل عمورة، عند انتصاب الأغواط كقاعدة فرنسية.
- في حال ما كانت هناك نوايا عدوانية من المزابيين او محاولة إحداث تحركات عسكرية في الصحراء، فإنها سوف تبوء بالفشل لأن نقاط الوصول مثل قرية الحوتية وتاجرونة وغيرهما تقع تحت الاحتلال الفرنسي
- إحكام السيطرة على الأغواط قد يمكن من مد النفوذ الفرنسي الى ابعد نقطة من الصحراء الجزائرية
- اعتبارها قاعدة عمليات ممتازة لكل التحركات نحو بداية ونهاية الصحراء الجزائرية الكبرى¹

المطلب الثالث: الدوافع الإقتصادية

لقد حظيت الصحراء الشرقية باهتمام السلطات الفرنسية لما كانت تحتويه من ثروات طبيعية ومعدنية وطاقوية ومدى أهمية مناطقها في تحقيق الإستثمارات الصناعية وهذا ما "يتراء لنا أن الصحراء الجزائرية على **P-Leroy Beaulieu** يبدو فيما قاله "ليروا بول جانب كبير من الثروات المعدنية والمدخرات المنجمة المتنوعة"، وكذا ما أشار إليه "بقوله: "..... إن الصحراء في هذه الفترة يمكن إعتبرها أهم **Soult**المارشال " سولت

¹ إبراهيم مياسي...، الاحتلال الفرنسي، المرجع السابق، ص 125-126.

المراكز للبحث عن الأسواق التجارية الرابطة بين الصحراء والشمال الإفريقي من جهة والصحراء الجزائرية وإفريقيا السوداء من جهة ثانية " 1

وعليه فإن الصحراء الجزائرية عموما والشرقية خصوصا شكلت أهمية إقتصادية ضرورية في المشروع الإستعماري الفرنسي وقد كانت أهميتها تكمن في:

- ❖ استغلال ثرواتها الإقتصادية وكذلك البشرية. 2
- ❖ إعتبار بعض أقاليم الصحراء الشرقية مجال مواصلات مفتوح يسهل التنقلات بمختلف أشكالها كإقليم واد سوف الذي هو بمثابة منطقة عبور إلى تونس وطرابلس.
- ❖ إمداد التجارة الفرنسية إلى قلب الصحاري بعد السيطرة على مدينة الأغواط. وبما ان مدينة الاغواط مركز عبور يساعدهم هذا على فرغ غرامات على الصحراويين الذين ينقلون المواد الغذائية من مخازنها. 3
- ❖ استغلال مصادر الطاقة وبناء قاعدة لاستغلال واسع لثرواتها باطنية كانت او سطحية.
- ❖ استغلال مساحاتها الشاسعة في استثمارها المؤسساتي في قطاع التمور وزراعة الحبوب وأشجار الزيتون والحمضيات بالإضافة الى الزراعات الصناعية كزراعة التبغ ونبته الحناء. 4

1 عطلاوي عبد الرزاق، المرجع السابق، ص158.

2 موسى بن موسى، المرجع السابق، ص 31.

3 إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي ...، المرجع السابق، ص 127.

4 ليلي سعداوي، "التحولات الاقتصادية والاجتماعية في مدينة بسكرة خلال الفترة الاستعمارية"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، مج 08، ع 02، نوفمبر 2022م، ص191-192.

المبحث الثالث: البعثات الاستكشافية نحو الصحراء الشرقية

نظرا للجهل الفرنسي للواقع السياسي والطبيعي للمناطق الصحراوية، دفعهم هذا لإرسال بعثات استطلاعية لاستكشاف خبايا هذه المناطق. فبالإضافة إلى المعلومات التي توصلت إليها اللجنة الإفريقية التي قدمت للجزائر سنة 1939 والتي قامت بالبحث في مختلف الجوانب في البلاد والتي كانت الصحراء من ضمن المناطق التي بحثت فيها قامت السلطات الفرنسية بدعمها ببعثات التي كانت تبدو في ظاهرها ذات طابع تجاري لكن الهدف منها هو التعرف على تلك الجهات¹. ومن بين البعثات التي كانت موجهة نحو الجنوب الشرقي نجد:

بعثة الرحالة الجنرال "دوماس Dumas"² التي تعتبر أولى البعثات الاستكشافية إلى ورقلة والذي زار المنطقة سنة 1842 حيث حدد موقعها الجغرافي ووصف المدينة وقصبة ورقلة³.

نجد أيضا تروملي الذي استعرض خلال زيارته لورقلة سنة 1853 نمط عمران قصبة ورقلة وأعراشها الثلاثة سيسين وبني وقين وبني إبراهيم، وحدد أبواب المدينة وأشار إلى عدد السكان، حظيت ورقلة أيضا بزيارة "أدريان بربروجر Adrien Berbrugger"⁴ عام 1850 شملت رحلته واحات وادي سوف ووادي ريغ وورقلة والمنيعة وتوات⁵.

"⁶ الذي قدم معلومات دقيقة Henri Duveyrier بالإضافة إلى رحلة "هنري دوفيري ومفصلة تشير إلى أسهل المسالك وأيسرها والتي تفيد المستعمر في عملية الحصار وتطويق المدن والمناطق المراد احتلالها , زار هذا الأخير بسكرة و منها اتجه صوب القرارة ثم

1 عبد القادر كركار، "الصحراء الشرقية الجزائرية وأهميتها الإستراتيجية خلال المقاومة الشعبية 1837م-1883م"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 11، ع 01، 2020، ص 168.

2 جوزيف أوجين دوماس (1803-1871م) تقلد العديد من المناصب والمهام في الجزائر منها البعثة الاستكشافية نحو الصحراء وقد دون العديد من المقالات عن المجتمع الصحراوي.

3 بختة وابل، "جوانب من الحياة الاجتماعية والثقافية في الصحراء الجزائرية من خلال كتابات الجنرال أوجين دوماس في حولية استيطان الجزائريين 1852-1853م"، مجلة عصور الجديدة، مج 11، ع 03، نوفمبر 2021، ص 338.

4 ادريان بربروجر (1801-1869م)، عالم اثار فرنسي اختص في تاريخ الجزائر من اثارها ومصادر المكتوبة.

5 عبد القادر كركار، المرجع نفسه، ص 168.

6 هنري دوفيري (1840-1892م) مستكشف فرنسي بالصحراء الكبرى وخاصة الطوارق.

غرداية إلى المنيعنة التي اعتقل فيها ليعود إلى غرداية ثم الأغواط , حاول أيضا التوغل نحو منطقة الطوارق لكنه لم يتمكن من ذلك فقام التوجه صوب القرارة و تقرت ثم بسكرة¹, " مهمة من طرف الوالي العام للجزائر ليقوم برحلة **Duveyrier** بعدها أسندت " لدوفيري إلى بلاد الطوارق من أجل خلق علاقة تجارية ما بين فرنسا و الطوارق فانتقل من بسكرة متوجها نحو مدينة الوادي و منها على غدامس فنجح في تكوين علاقة وطيدة مع السكان و حصل على الحماية من قبل الطوارق².

أراد ضابط البحرية "براكس **Prax**" هذه المرة وعلى غير العادة أن يتعرف على بحار الرمال بالصحراء واكتشافها، فقام بهذه الجولة عبر الجنوب الشرقي الجزائري، فزار وادي سوف ووادي ريغ وبسكرة، ثم أصدر دراسة هامة استفادت منها المصالح الفرنسية وهي: "تقرت وسوف"³.

في سنة 1852 قام الملازم "روز **Rose**" نائب رئيس المكتب العربي برحلة إلى وادي سوف والذي راقب هناك الأمور عن كثب وقدم معلومات دقيقة ساعدت القوات الفرنسية في زحفها إلى سوف⁴.

فهذه البعثات التي ذكرناها ماهي إلا عينة صغيرة نظرا لعددتها الكبير. فبالإضافة لهذه البعثات قاموا بترجمة الرحلات التي قام بها المسلمون مثل: رحلة العياشي والأغواطى والدرعي، للاستفادة منها سياسيا وعسكريا⁵.

¹ محمد مبارك كديدة، "مجالات اهتمام الكتاب الغربيين بمناطق أقصى الجنوب الجزائري (هنري دوفيري نموذجاً)"، مجلة آفاق علمية، المركز الجامعي تمنراست، ع 11، جوان 2016، ص 64.

² المرجع نفسه، ص 64.

³ إبراهيم مياشي، الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص 171.

⁴ المرجع نفسه، ص 172.

⁵ عبد القادر كركار، المرجع السابق، ص 168.

الفصل الأول

بدايات توغل الإستعمار الفرنسي نحو الجنوب الشرقي

المبحث الأول: الإحتلال الفرنسي لمنطقة بسكرة.

المبحث الثاني: الإحتلال الفرنسي لمنطقة الأغواط.

المبحث الثالث: الإحتلال الفرنسي لمنطقة ورقلة.

المبحث الرابع: الإحتلال الفرنسي لمنطقة وادي سوف.

بعد إحتلال فرنسا الجزائر سنة 1830م، وجهت أنظارها بعد ذلك نحو المناطق الجنوبية وخاصة الجنوب الشرقي الذي أصبح مأوى للمقاومين بعد فرارهم من الشمال إليها، لذلك عازمت القوات الفرنسية على إخضاعه من أجل القضاء على المقاومين من جهة ومد نفوذها على كامل التراب الوطني من جهة أخرى، إذ يعتبر احتلال بسكرة وسقوطها في قبضة الفرنسيين سنة 1844م بداية التوغل الفرنسي للجنوب الشرقي فكانت الوجهة بعد ذلك الأغواط سنة 1852م، ثم ورقلة في أواخر سنة 1853م، فواد سوف بعد ذلك سنة 1854م. فكيف تـم إحتلال هـذه المنـاطق؟

المبحث الأول: الإحتلال الفرنسي لمنطقة بسكرة

شهدت عاصمة الزيبان بسكرة في النصف الأول من القرن 17م من الحكم صراعات عائلية حول الزعامة بين عائلتي "ابن قانة" و"أولاد بو عكاز"¹ وذلك بسبب السياسة العثمانية التي انتهجتها على تفضيل أسرة على حساب أسرة أخرى².

وقد اشتد هذا الصراع أكثر سنة 1837م تاريخ سقوط قسنطينة بعد مقاومة عنيفة من طرف السكان بقيادة أحمد باي الذي قرر الفرار إلى الجنوب لاسترجاع قواه لمواجهة فرنسا مرة أخرى، لكنه واجه معارضة خاله بو عزيز بن قانة³، وأشار عليهم بالتوجه إلى الصحراء أولاً لمحاربة خصمهم فرحات بن سعيد⁴ من عائلة بو عكاز وشيخ العرب في الزيبان وطرده منها، ثم التوجه بعدها لمواجهة القوات الفرنسية بقسنطينة، فأخذ طريقه إلى بسكرة وأرسل أمتعه إلى بلدة القنطرة ومنها إلى الأوراس بقرية منعة، وعند وصوله إلى بلدة الوطاية علم

¹ تعود جذور عائلة ابن قانة إلى قرية كوكو المتواجدة في جبال جرجرة، أين كانت تعيش امرأة إسمها قانة ولهذا أصبح أبنائها وأحفادها يلقبون بن قانة، أما جذور عائلة بو عكاز من بني هلال، وهي أسرة عريقة في المنطقة، أشهر زعمائها فرحات بن السعيد، وتضم أولاد صاولة والدواودة. ينظر شهرزاد شلبي، ثورة واحه العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر، مذكرة ماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009م، ص16، 17.

² نفسه، ص16.

³ إبراهيم مياصي، المقاومة الشعبية، دار المدني، الجزائر، 2008م، ص28.

⁴ هو فرحات بن أحمد بن محمد بن السخري المدعو فرحات بن السعيد، ولد سنة 1786م، تولى مشيخة العرب سنة 1821م ويعتبر آخر من تولى هذا المنصب من الذواوة والرياحين. ينظر شهرزاد شلبي، المرجع السابق، ص17.

أن فرحات بن سعيد يلاحقه وقد دعم صفوفه بأولاد عبد النور والبلزمة والحضنة، ثم قام بهجوم كاسح على مدينة بسكرة كأول مواجهة بين الأشقاء، وانتصر فرحات بن سعيد على قوات أحمد باي واحتجز منهم بعض الرهائن كدليل على انتصاره من جهة والتقرب من فرنسا من جهة أخرى¹.

بعد أن تبخرت آمال أحمد باي في استرجاع قسنطينة، قرر ابن قانة الانفصال عنه والتعاون مع القوات الفرنسية، فقام بن قانة بمراسلة الجنرال "غالباوا Galbois" حاكم قسنطينة طالبا الأمان متعهدا إياه بطرد بن عزوز² وتوسيع نفوذ فرنسا إلى أعماق الصحراء، وقد تم اختيار بوعزيز ابن قانة لعدة اعتبارات أهمها:

- المكانة التي يحظى بها بين الأهالي لأنه ينتمي لإحدى أعرق الأسر في المنطقة وتأثيره الكبير فيها.
- خبرته السياسية ذات الباع الطويل وتقديمه خدمات جليلة لحكام الجزائر وإخلاصه لهم³.

حيث تم تعيينه في 14 جانفي 1839م شيخ العرب على الزيبان، وراح يواصل قتاله مع فرحات بن سعيد إلى أن تخلص منه سنة 1842م. ثم تفرغ لمحاربة خليفة الأمير في الزيبان محمد الصغير بن أحمد بلحاج واستمر هذا الصراع بينهما مدة عامين 1844م-1844م دون أن يحسم، حيث حاصرت قوات بن قانة واحة سيدي عقبة وقصبة مدينة بسكرة فترة من الزمن دون جدوى⁴، ومن هنا ذهب بن قانة يستنجد بالقوات الفرنسية من خلال رفع تقرير للسلطات بقسنطينة يشرح فيه الأوضاع في المنطقة خاصة الأمنية منها بشيء من التضخيم من أجل تحفيز الفرنسيين على الإسراع في تقديم الدعم له وبالفعل استجابت فرنسا لطلبه⁵.

¹ إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص28،29.

² تنتمي أسرة بن عزوز إلى الزاوية الرحمانية ببيرج بن عزوز ومن أشهر عناصرها محمد بن عزوز الذي أخذ الطريقة عن عبد الرحمان باش تارزي ثم المكي بن عزوز الذي نشر الطريقة الرحمانية بتونس. ينظر شهرزاد شلبي، المرجع السابق، ص 22.

³ نفسه، ص23.

⁴ يوسف تلمساني، "التوغل الفرنسي في منطقتي الأوراس والزيبان"، مجلة المصادر، ع22، الجزائر، ص33.

⁵ صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة 1826م-1850م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص86.

حيث جهز "الدوق دومال *Due d'Aumale*"¹ حملة كبيرة انطلقت من قسنطينة في 07 فيفري 1844م بقيادة العقيد "بوتافاكو *Buttafaco*" مكونة من فرقة مشاة بقيادة العقيد *فيدال* والخيالة تحت قيادة "نوال *Noel*" وقسم المدفعية بقيادة الجنرال "لھين *Lyhine*" كما تدعمت بقوات من سطيف مقدره بكتيبتين و200 حصان بقيادة الجنرال *كيسلاق*، وعند حلولها بمدينة باتنة تمركزت القوات بها وحولتها إلى مركز عسكري للتموين، وقيادة العمليات، أما عن سبب اختيار المكان فيعود إلى قربها من منطقة الزيبان، كما أنه يعتبر حلقة وصل بين الشمال والصحراء².

وبعد تجمعها بقيت تنتظر قدوم بعض القوات من المناطق الأخرى وتمثلت في 1000 من الإبل التي وعد ابن قانة بإرسالها لحمل متاع وسلاح الجيش، وعند وصول الإمدادات تحرك الجيش صوب بسكرة وكانت رحلة شاقة تخللتها بعض الانتفاضات، أهمها ثورة أولاد سلطان بالقرب من القنطرة في 25 فيفري 1844م، أولى أقاليم الزيبان³.

إلا أن قوات العدو تمكنت من صدهم وألحقت بهم الهزيمة فسقط ما لا يقل عن 15 قتيلًا في صفوف المقاومة ولا سيما أن الدوق دومال أرسل طابورا على جناح السرعة بقيادة الرائد "جوبير *Gaubert*" لتأمين الطريق⁴.

لقد تضاربت المواقف حول الاحتلال، ففيما سارع بعض زعماء القبائل لنجدة المدينة ومن بينهم الصادق بن الحاج وعبد الحفيظ الخنقي، بينما اتخذت الزاوية التيجانية¹ بقيادة الشيخ علي تيماسين موقف الحياد وذلك لخوف قائدها من الدخول في مواجهة مع فرنسا².

¹ ولد بباريس 16 جانفي 1822م، الابن الرابع للملك لويس فيليب، تقلد رتبة نقيب سنة 1839م، شارك إلى جانب أخيه الدوق أورليان في معركة العفرون 1840م، وتولى القيادة العسكرية بالمدينة حتى 1843م، اشتهر بالاستيلاء على زمالة الأمير في 16 ماي 1843م وعين حاكما عاما في الجزائر 21 سبتمبر 1847م، أطلق اسمه على سور الغزلان. ينظر يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص49.

² Abdelhamid Zouzou, *L'AURAS Au Temps De La France Coloniale Evolution Politique Economique et Sociale 1837-1939*, tom 2, DE, édition distribution Houma, Alger, 2002, p185,186.

³ Abdelhamid Zerdoum, *les Biskra et les France*, Entreprise des arts graphique et de bureautique de Biskra, Alger, 1988, p3.

⁴ يوسف تلمساني، المرجع نفسه، ص36.

حيث واصلت الحملة طريقها في 25 فيفري 1844م في محاولة منها لإحكام السيطرة على المناطق المجاورة، وبالفعل تمكن الدوق "مونتبونسيه *Montpensier*" أخ قائد الحملة من السيطرة على الطرق المؤدية إلى القنطرة. كما أخضع "مكماهون *Mac-Mahon*" قبيلة بني معراف المتواجدة في السفوح الجبلية المجاورة للأوراس.

وفي 04 مارس 1844م تمكنت قوات العدو من دخول المدينة، بدون أي ثورة بعد فرار محمد الصغير بلحاج منها قبل وصول الحملة بمدة، وبهذا تمكن الدوق دومال من إخضاع منطقة الزيبان التي أعلنت له الولاء في مقابل الحماية³.

وبعد تحقيقه لهذا النصر بدأ في تطبيق بعض الإجراءات قصد إحكام السيطرة على هذه المنطقة، حيث قام بإرسال مجموعة من الضباط الذين يحسنون اللغة العربية إلى القرى المجاورة كعيون له بها ليتجسسوا على الأوضاع السياسية والاجتماعية للسكان، نذكر منهم الرائد "توماس *Tomas*"⁴، والنقيب "فورنيه *Fournier*"⁵، والنقيب "ديسفو *Desvaus*"⁶، كما أنه قام بمصادرة أملاك المجاهدين الفارين والذين لم يسلموا أنفسهم بعد قدوم الحملة، إضافة إلى معاقبة المقاومين الذين تم أسرهم وحجز أملاكهم، كما أمر بتجهيز قوة عسكرية مكونة من 300 رجل لمهاجمة قسبة بسكرة ووضعها تحت تصرفه⁷.

وبعد هاته الإجراءات التي قام بها أكمل الدوق دومال مسيرته للتوغل أكثر في أعماق الزيبان، فتوجه في 07 مارس 1844م إلى واحة سيدي عقبة وغيرها من القرى المجاورة،

¹ مؤسسها هو شيخ أحمد التيجاني في قرية تماسين (قرب توقرت)، وقد تولى ابنه حاج على قيادة الزاوية بعد وفاة والده.

ينظر شهرزاد شلبي، المرجع السابق، ص29.

² نفسه، ص29.

³ إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص46،47.

⁴ هو *Tomas Joseph*: ولد في *Hambourg* خريج مدرسة *1829 Saincy*م قدم إلى الجزائر 1834م، عين قائد على وهران 1857م، ثم على جيغل فتلمسان، توفي في 27 ماي 1859م. ينظر شهرزاد شلبي، المرجع السابق، ص30.

⁵ *Fournier Pierre*: ولد في 16 جوان 1859م في الجلفة بعد أن استقرت عائلته بها في 1852م، عمل بالصناعة في المدينة، وفي سنة 1857 عمل كمستشار بلدي لمدة 30 عاما، أما في سنة 1876م استثمر أمواله لابتكار مطحنة في المسيلة. ينظر شهرزاد شلبي، المرجع نفسه، ص30.

⁶ هو *Nicolas gilles Toussaint Desvaus*: ولد في باريس في 06 نوفمبر 1816م، استقر في الجزائر بين 1840م-1859م، وفي سنة 1852م ترقى إلى رتبة كولونيل، ثم إلى قائد مقاطعة توقرت، ثم لواء في 1855م. ينظر شهرزاد شلبي، نفسه، ص30.

⁷ إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي...، المرجع نفسه، ص47،48.

وبعد مرور عشرة أيام أعلن قائد الحملة أن العديد من القرى والقبائل أنها خضعت لهم وقدمت لهم فروض الطاعة بدفعها الضرائب التي قدرت ب 150 ألف فرنك على الرغم من الارتفاع الكبير لقيمة الضرائب، والتأكيد الفرنسي بأن الاستسلام والخضوع كان عاما.¹

إلا أن هذا الأمر مستبعدا كثيرا وخير دليل على ذلك رد فعل سكان مشونش على قوة رفضهم للاحتلال الفرنسي في معركة مشونش في 15 ماي 1844م، وأيضا معركة بسكرة في ماي 1844م، وكيف تم التحضير لثورة الزعاطشة 1848م، لذا لا يمكننا الجزم بأن سكان منطقة بسكرة استقبلوا الاستعمار الفرنسي بقلب رحب.

¹ شهرزاد شلبي، المرجع السابق، ص31.

المبحث الثاني: الإحتلال الفرنسي لمنطقة الأغواط

بعد أن إحتلت القوات الفرنسية بوابة الصحراء عاصمة الزيبان بسكرة، تفرغت بعد ذلك لاحتلال بوابة أخرى عبر منطقة الأغواط¹. إذ تعتبر هذه الأخيرة همزة وصل بين الجنوب الوهراني والجنوب القسنطيني، وباعتبارها تتوسط الجزائر ولها علاقات تواصلية بين المناطق والقبائل الجزائرية صنفت مدينة الأغواط كمركز أمامي لا بد من السيطرة عليه للتوغل إلى أعماق الصحراء².

حيث بدأ تطبيق تلك الفكرة برحلة الجنرال "ماري مونج *Marey Monge*" قائد شعبة المدية العسكرية لمدينة الأغواط الذي قام بجولة استكشافية فيها في شهر مارس 1844م والذي كتب تقريرا للسلطات العليا، كان مضمونه هو تأييد أحمد بن سالم³ وجعله خليفة على الأغواط الذي كان قد أرسل أخاه عند وصول القوة العسكرية الفرنسية إلى قصر زكار إلى القائد الفرنسي ليقدم الولاء والطاعة ويمنحه منصب خليفة على الاغواط ممثل للسلطة الفرنسية بالمنطقة بقصورها الخمسة (العسافية، قصر الحيران، الحويتة، تاجموت⁴، وعين ماضي⁵)، بالإضافة إلى الأرباع⁶، الحرازية وبني ميزاب، والمهم من ذلك عداوته مع الأمير عبد القادر⁷.

اقترح ماري مونج في تقريره مبلغ 18 فرنك كراتب لأحمد بن سالم و2500 فرنك لكل آغا معين معه، وتجنيد 20 فارس و200 جندي، حتى يصبح أهم وأقوى قادة الجنوب بالإضافة

¹ إبراهيم مياسي، الإحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص85.

² بن عتو بلبروات، "الإحتلال الفرنسي للأغواط وضواحيها سنة 1852م وجرائمه"، مجلة عصور الجديدة، ع 06، 2012م، ص42.

³ ينتمي أحمد بن سالم إلى أسرة عريقة من المرابطين في منطقة القبائل، ويعتبر من شيوخها، اشتهر بعلمه وتقواه. ينظر بن عتو بلبروات، المرجع نفسه، ص51.

⁴ تقع تاجموت شمال الأغواط، ينقسم سكانها إلى فريقين وليس لهم حاكم. ينظر الحاج ابن الدين الأغواطي، رحلة الأغواطي، تح أبو قاسم سعد الله، مجموع الرحلات المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص88.

⁵ تقع عين ماضي غرب تاجموت لها أسوار مشيدة وباب، وبها مركز التيجانية، وهي من أجمل الواحات بالجنوب الجزائري. ينظر الحاج ابن الدين الأغواطي، المصدر نفسه، ص88.

⁶ قبيلة الأرباع: من العرب القحطانية، استقرت بمنطقة الأغواط حوالي القرن الحادي عشر قادمة من أولاد جلال بالزيبان، مشكلة من أربع فرق -ولعل هذا سبب تسميتها بالأرباع - هي المعامرة، الحجاج، أولاد زيد، وأولاد صالح. ينظر حسين تواتي، "دور قبائل الأغواط في مقاومة الإحتلال الفرنسي-قبائل الأرباع أنموذجا"، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، ع 02، جامعة عباس لغرور خنشلة، 2020م، ص132، 133.

⁷ إبراهيم مياسي، الإحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص101.

إلى 05 آلاف فارس، وأكد على فرض السيطرة التامة على الأغواط وجعلها مركزا إداريا وتجاريا وسياسيا وعسكريا وقطع كل الاتصالات التي تربطها بشرق البلاد وغربها. إلا أن الحرب الفرنسية-المغربية المتمثلة بالخصوص في معركة إسلي¹ سنة 1844م أخرت هذا المشروع، واكتفت السلطات الفرنسية بتقديم الرواتب لأحمد بن سالم ومساعديه حتى يتحكم في قصور الأغواط، وقبائل الأرباع والحرزالة وأولاد عطاء الله وسعيد عتبة².

كذلك أدركت فرنسا ما يتمتع به بالشيخ أحمد التيجاني³ من تأثير وحضور قوي في المجتمع الأغواطى فحاولت كسب وده ليصبح صديقا للفرنسيين وكان ذلك بايعاز من أحمد بن سالم، ولكي تزيد الهوة بينه وبين الأمير عبد القادر⁴ عدو الفرنسيين، وبالفعل استطاع مونج من احتواء شيوخ الزاوية التيجانية، وجعلهم يؤمنون بصداقة فرنسا وهذا من أجل توسيع الهوة بين التيجانية والأمير عبد القادر⁵.

من جهة أخرى استطاع الأمير خلال عام 1846م أن يكسب تأييد أولاد نائل بجنوب المدينة عن طريق **سي الشريف بلحرش**، مما جعل أحمد بن سالم معزولا في منطقة الأغواط ورغم ذلك بقي مخلصا لسلطة الاحتلال الفرنسي التي استطاعت ان تخلق نوعا من التنافس والتناحر بين بعض الزعماء والقادة، وقد لعب كل من الجنرال **"ماري مونج"** والجنرال **"يوسف Yusuf"**⁶ الدور الأبرز في إنكفاء سياسة "فرق تسد"، وأهم انشقاق وقع في هذه

¹ وقعت معركة إسلي يوم 14 أوت 1844م بين الأمير عبد القادر والسلطات الفرنسية بسبب قضية الحدود ودعم السلطات المغربية للأمير عبد القادر. ينظر أديب حرب، **التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري 1808م-1847م**، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط 01، ج 01، 2007م، ص 413.

² إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص104.

³ أحمد التيجاني مؤسس الطريقة التيجانية، ولد سنة 1737م بعين ماضي، يقال إن أصوله من أشرف المغرب، كان عالم وزاهدا اشتهر بالصلاح والفلاح وكان مقصد الكثير من الناس للإنتفاع والتبرك، عرفت طريقته انتشارا واسعا خلال الاحتلال الفرنسي، توفي بفاس سنة 1814. ينظر إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي...، المرجع نفسه، ص135.

⁴ هو عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى...، يعود نسبه إلى الحسن والحسين أحفاد النبي صلى الله عليه وسلم، قاد مقاومة عظيمة ضد الاحتلال الفرنسي. ينظر محفوظ قداش، الأمير عبد القادر، المؤسسة الوطنية للنشر، الجزائر، 2002م، ص10.

⁵ لياس نايت قاسي، مليكة بلقاضي، **"قراءة في الإستراتيجية الإستعمارية الفرنسية لإحتلال الأغواط 1852م"**، **المجلة التاريخية الجزائرية**، ع 02، الجزائر، 2020م، ص135.

⁶ هو **Yusuf Joseph Ventini**: يقال أنه ولد في جزيرة الألب Elbe بتوكسانا سنة 1809م، وقع في قبضة القراصنة الذين باعوه في تونس وأصبح مملوك الباي الذي رعاه أحسن رعاية، لكنه غدر به وفر سنة 1830م إلى الجزائر، ليشارك في الحملة على مدينة الجزائر كمترجم، وانخرط في الجيش الفرنسي كمترجم، أصبح ملازم أغا العرب في 17 ماي 1832م، وترقى إلى قائد سرية ضباط فرقة الشرف في 14 أوت 1835م، ثم عين بابا على قسنطينة في 18 فبراير

الفترة بين أحمد بن سالم وصهره **ابن ناصر بن شهرة** قائد الأرباع، وقد أدى ذلك إلى اضطرابات خطيرة بجنوب إقليم المدينة دفعت ابن ناصر بن شهرة الإنضواء تحت قيادة المجاهد الشريف محمد بن عبد الله، لكنه عندما خيم مع أهله الأرباع بالشهبونية قرب بوغار نصب كميناً لقوات الملازم **"كروس Carrus"** مع ثلاثين صبايحي من المدينة في 3 سبتمبر 1851م حيث جردهم من أسلحتهم وخيولهم وملابسهم ثم أطلق سراحهم من حيث جاءوا مشياً على الأقدام، ورجع ابن ناصر إلى الأغواط واستولى على قرية قصر الحيران وحصنها فاتصل به السكان من كل جهة خاصة أعيان المدينة للتعاون معه لأنهم سئموا من سياسة الاحتلال الفرنسي، كما إلتف حوله الحرازية أولاد سيدي عطا الله، وأولاد سعيد عتبة والمخادمة من ورقلة، وعزموا على الثورة للتخلص من النفوذ الفرنسي¹.

على إثر هذه المخاوف أمر الوالي العام للجزائر الجنرال **"راندون Randon"** يوم 07 فيفري 1852م الجنرال **لادميرول Ladmirole** بتشكيل طابور متنقل، فاستدعى هذا الأخير كلا من قوم التيطري والتل وشكل منهم قوة تتألف من ألف وخمسمائة فارس، وانضموا إلى قوم أولاد نائل تحت قيادة سي الشريف بلحرش، وفي 22 فيفري تحرك الطابور المتكون من عدة سرايا وفرق عسكرية إلى الأغواط.

اتبع الجنرال **لادميرول** الطريق الذي سلكه زميله الجنرال **ماري مونج** سنة 1844م، لأنه قدم للمصالح الاستعمارية عدة معلومات ضرورية في عملية الاحتلال.

وصلت القوة الفرنسية إلى أسوار الأغواط يوم 04 مارس فاتصل بها الخليفة أحمد بن سالم الذي تلقى التعليمات اللازمة لحراسة الأغواط، وبعد أن تجولت في المنطقة عادت من حيث

1836م لينا فس أحمد باي، ومن هنا بدأ يترقى في الرتب العسكرية وخاصة بعد أخذه الجنسية الفرنسية في 18 فبراير 1838م. ينظر إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص 139.

¹ محمود علالي، "التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية - الأغواط أنموذجاً"، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، ع 01، جامعة الأغواط، جانفي 2019م، ص 146.

² راندون Randon: ولد في 25 مارس 1795م، عين حاكم عام للجزائر 11 ديسمبر 1851م إلى غاية أوت 1858م، توفي في جانفي 1871م، قاد حملات كثيرة ضد القبائل الثائرة في الأغواط. ينظر فاطمة حباش، **سي الأعلى بن بكر القائد العسكري لثورة أولاد سيدي الشيخ 1820م-1896م**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، وهران، 2005م، ص 62.

أنت، لأن الحملة في البداية كانت عبارة عن جس نبض المقاومة¹، وعندما شعرت فرنسا نفوذ الزعيم الصاعد محمد بن عبد الله سلطان ورقلة² ازداد قررت الزحف على الأغواط من خلال محورين: محور اتجاه قصر الحيران، ومحور اتجاه العسافية بقيادة الجنرال يوسف.

في 21 نوفمبر 1852م اصطدم الطرفان في معركة تعد من أكبر المعارك التي عرفتھا المنطقة وقد تكبد العدو خسائر كبيرة مما أدى إلى انسحاب يوسف إلى العسافية، منتظرا الامدادات القادمة من القطاع الوهراني بقيادة الجنرال "بيليسييه *Pélissier*"³.

عين الحاكم العام الفرنسي راندون الجنرال بيليسييه قائدا عاما لجميع القوات العسكرية العاملة في الجنوب، حيث أقر الجنرال بيليسييه خطة الحصار الكامل على المدينة وفق هذا التوزيع: من الشمال الجنرال يوسف، ومن الشمال الغربي العقيد تروملي، من الغرب الجنرال بيليسي، من الجنوب الغربي الجنرال "بوسكران *Bouscaren*"، ومن الشرق الرائد موران⁴.

في صباح 03 ديسمبر 1852م بدأت المعركة النهائية بين الطرفين، فهبت البلدة عن بكرة أبيها في وجه الغزاة المحتلين وقتل عدد كبير من الفرنسيين منهم ضباط كبار في الجيش الفرنسي على يد المقاومة، وذهب ضحية هذه المواجهة ضد الفرنسيين 2500 شهيد من أهل البلدة والمقاومين من مجموع 3600 ساكن أي أكثر من ثلثي السكان⁵، وهناك إحصاء يورده تروملي فيقول: "...إثني عشر ألف عدوا ماتوا في هذه المعركة التي أفزعت نتائجها

¹ محمود علالي، المرجع السابق، ص 146.

² يحيى بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار البعث للنشر، قسنطينة، ط 01، 1980م، ص 129.

³ هو بيليسييه دي رينو: ضابط عسكري شارك في عدة حملات عسكرية في الصحراء الجزائرية بالإضافة إلى عضويته في لجنة الإكتشاف العلمي بالجزائر باعتباره متخصص في التاريخ الحديث والنظم والعادات، واستطاع أن يترجم تاريخ القيرواني عن المغرب الإسلامي من القديم إلى عهد الموحدين، وكتب مذكرات تاريخية عن الحملات الأوروبية ضد سواحل شمال إفريقيا، ينظر رضوان شافو، الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الإستعماري، المرجع السابق، ص 26.

⁴ لياس نايت قاسي، مليكة بلقاضي، المرجع السابق، ص 138.

⁵ محمود علالي، المرجع نفسه، ص 147.

الصحراء...¹ وفي 04 ديسمبر 1852م سقطت الأغواط في يد الفرنسيين بعد أكثر من أربعة أيام من استمرار الهمجية الاستعمارية في المدينة.

وبعد السيطرة على الأغواط بعث المارشال راندون برنامج متكون من خمس نقاط إلى الجنرال مارغريت القائد الأعلى لمدينة الأغواط، تضمن ما يلي:

- توفير الإمكانيات اللازمة من أجل ملاحقة المتمردين وإتمام السيطرة على كامل البلاد.
- جعل من الأغواط مدينة كبيرة وجميلة (مركز سياسي وتجاري) حتى تثبت لسكان الصحراء مدى القوة الفرنسية التي تستطيع أن تحطم ثم تبني.
- تطوير الثقافة الفرنسية، وربط الأهالي بالأرض وجعل القصور المحيطة بالأغواط مزدهرة وغنية.
- تمتين العلاقات مع أقصى جنوب الجزائر.
- تطوير تجارة الأصواف، ومن ثم تحسين السلالة الغنمية².

كان لسقوط مدينة الأغواط صدى كبير في كامل الصحراء فقد نجحت فرنسا في ربح جزائر أخرى في الجنوب، واعتبرت فرنسا أن إحتلال الأغواط من الإنجازات الهامة في توسعها نحو الصحراء لأنه يمثل عدة مزايا منها:

- تعبئة أولاد نائل والأرباع وحصرهم وراء جبل عمور عند إنتصاب الأغواط كقاعدة فرنسية.
- جعل بني ميزاب³ خاضعين تماما للسلطة الفرنسية، لإضطرار قوافلهم المرور بالأغواط، لتزود بالماء أثناء رحلاتهم إلى التل لأنها السبيل الوحيد نحو الشمال.

¹ لياس نايت قاسي، مليكة بلقاضي، المرجع السابق، ص 140.

² محمود علالي، المرجع السابق، ص 147.

³ بني ميزاب: أغلبهم من قبائل نقوسة وفيهم الكثير من عرب الأقطاط والقليل من القبائل العربية الأخرى تشمل شبكة المدن الميزابية، كان لهم حضارة وعمران في هذه المراكز ونجد أغلبهم على المذهب الإباضي. ينظر أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري...، المرجع السابق، ص 105.

- فرض غرامة على الصحراويين الذين ينقلون المواد الغذائية من مخازن الأغواط بإعتبارها مركز عبور.
- إمتداد التجارة الفرنسية إلى قلب الصحاري¹.

يجدر بنا الإشارة إلى أن الدعم الذي قدمته بعض القبائل المحلية وقادتها كان السبب الرئيسي في سقوط مدينة الأغواط في يد الفرنسيين، فما كانت فرنسا لتغامر في فيافي الصحراء دون عيون أهل المنطقة. فالولاءات نخرت جسد المجتمع الأغواطي خاصة والجزائري عامة.

¹ إبراهيم مياسي، الإحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص 126.

المبحث الثالث: الإحتلال الفرنسي لمنطقة ورقلة

بعد سقوط بسكرة والاغواط في يد الإحتلال الفرنسي خطط للتوسع أكثر¹ في الجنوب الشرقي واختاروا منطقة ورقلة كوجهة ثالثة لهم، وهذا بالطبع لعدة أسباب وأهداف إستراتيجية وعسكرية وإجتماعية، نحصرها في النقاط التالية:

- كون مدينة ورقلة تمثل همزة وصل بين الجزائر وبلاد السودان، وبالتالي كان لا بد من السيطرة عليها وإخضاعها للنفوذ الفرنسي حتى تصبح محطة أساسية لإنطلاق البعثات الإستكشافية والحملة العسكرية نحو عمق الجنوب الجزائري وأيضا إفريقيا الوسطى والغربية.
- كذلك كانت تمثل مخزن لدلال الطرق الصحراوية وخاصة من القبائل البدوية وفي مقدمتهم قبائل سعيد عتبة² والشعابنة، ويجدر بنا الذكر بأن كل البعثات التي وصلت إلى ورقلة لا تكاد تخلوا من أهالي ورقلة العارفين بمسالك الطرق الصحراوية الرابطة بين ورقلة والجريد التونسي، وورقلة وغدامس³، وورقلة وبلاد السودان.
- لقد دفع موقع ورقلة بالسلطة إلى حد التفكير بمد خط سكة حديدية بغية ربط المستعمرات الفرنسية ببعضها البعض لتسهيل مهمة تنقل الوحدات العسكرية بالصحراء، وقد أشار الرحالة لأرجو إلى أهمية هذا الخط، حيث اقتنع بأن مخطط السكة الحديدية العابر للصحراء إلى حد النيجر يجب أن ينطلق من بسكرة مارا بتقرت إلى ورقلة.

1 عبد الله مقلاتي، المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر 1830م-1954م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، فيفري 2014م، ص 86.

2 سعيد عتبة: ظهرت هذه القبيلة في القرن 13م، وخلال العهد العثماني تفرعت إلى فرعين الأول يضم أولاد مولود بنواحي تقرت، أما الثاني فيضم عشيرة سعيد بنماسين والحجيرة والمخادمة المنتشرة بين ورقلة والرويسات. ينظر عبد القادر مرجاني، "مقاومة الشريف محمد بن عبد الله 1851م-1871م على ضوء كتاب الفرنسيون Les Français dans le d désert"، مجلة الباحث، ع 03، المركز الجامعي أفلو، الأغواط الجزائر، 2020م، ص 345.

3 غدامس: بلدة كبيرة مبنية بالطين أو الطوب، وفيها تمور كثيرة وسكانها يتكلمون البربرية، تحتوي على العديد من العبيد، وتقدر المسافة بينها وبين توات 24 يوما، وليس فيها عرب. ينظر أبو قاسم سعد الله، مجموعة رحلات، المرجع السابق، ص 97،98.

وفي نظر بعض الساسة الفرنسيين أن إحتلال ورقلة سيمكن الجيش الفرنسي من إستكمال عملية التوغل العسكري إلى عمق الصحراء الجزائرية، وذلك بإعتبارها منطقة عبور بين الشمال والجنوب من جهة وبوابة أساسية نحو بلاد السودان من جهة أخرى¹.

لقد ساعدت الأوضاع التي كانت تشهدها منطقة ورقلة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر السياسية والاجتماعية من خلال إنتشار حالة من الفوضى واللاستقرار والصراعات القبلية بين مختلف التشكيلات الاجتماعية على بسط فرنسا نفوذها على المنطقة²، أيضا إستغلالها هذه الصراعات وطبقت مبدأ فرق تسد لأنهم وجدوا فيها خير وسيلة لإحتلال ورقلة³، وقد كانت هذه الفترة محط أطماع الباحثين عن الحكم، وخاصة المشيخة البابية التي إستفادت من الأوضاع السائدة في المنطقة، ووقفت تحالفات جديدة تسعى من خلالها إلى السيطرة على حوض ورقلة⁴.

حيث تعاقبت على سلطة ورقلة في ظرف ثمانية سنوات في الفترة الممتدة 1841م-1849م ستة سلاطين وهم: مولاي الطيب، مولاي الذهبي، مولاي عبد القادر، مولاي علي الذي اغتيل بعد سنتين من توليه الحكم من 1847م-1849م وخلفه بعدها مولاي سليمان الذي لم يدم حكمه هو الآخر سوى ثلاثة أيام، ليخلفه بعدها مولاي أحمد الذي إستقر بالقصبة وحكم لمدة شهرين فقط، وهو ما نتج عنه في الأخير زوال حكم أسرة بني علاهم⁵ نهائيا من ورقلة بعد حكم دام حوالي القرنين والنصف والتي تميز في الأخير بكثرة الإغتيالات والصراعات⁶، ناهيك عن مشيخة نقوسة التي تعاقبت على حكمها في هاته الفترة شيخين وهما الشيخ الحاج أحمد ابن بابية وابنه الشيخ أبو الحفص ابن بابية⁷.

1 رضوان شافو، "الإحتلال الفرنسي لمنطقة ورقلة وضواحيها القراءة في الدوافع والمراحل"، المركز الجامعي بالوادي، ص 4، 5.

2 نفيسة بلخضر، مدينة ورقلة ودورها في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر ميلادي، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة غرداية، 2016م، ص 102.

3 رضوان شافو، المرجع نفسه، ص 3.

4 عبد القادر مرجاني، المرجع السابق، ص 330.

5 أسرة ذات نسب شريف من أصل مغربي من مدينة فاس قصدوا وجهاء ورقلة من أجل إعطاءهم أحد أولادها لحكم المدينة، وبعد مفاوضات بين الطرفين وافق الوالد على منحهم الإبن الأصغر يدعى مولاي علاهم، وتم تنصيبه سلطانا على ورقلة سنة 1602م خلفا لعائلة بني غابول. ينظر نفيسة بلخضر، المرجع نفسه، ص 102.

6 نفيسة بلخضر، المرجع السابق، ص 102.

7 رضوان شافو، المرجع نفسه، ص 03.

إن سوء العلاقة بين سلاطين ورقلة ومحمد بن عبد الله والإحتلال الفرنسي، في سنة 1851م ظهر وبرز على أحداث الساحة الصحراوية شريف محمد بن عبد الله¹ الذي عرف بعنائه الشديد مع السلطات الفرنسية لا سيما أنه قاد ثورات عديدة ضدهم التي شملت الزيبان والأغواط... إلخ، هذا ما جعل السلطات الفرنسية تعجل في إحتلال ورقلة خوفاً من أن يجدد الثائر محمد بن عبد الله المقاومة ضدها وبالتالي وجدت أن في توغلها تضرب بيد من حديد معاقل الثورات في الشمال التي كاتن تجد ملجئ في الصحراء.

وبفضل نشاط بن عبد الله إستجاب الناس للعمل وتجنّدوا تحت لوائه الذي أخذت سمعته تنتشر، ونفوذه يمتد ويتسع، فشرع بنوع من القوة وكانت ورقلة أول هدف وضعه نصب عينيه ليتولى عليها²، حيث تم تعيينه سلطاناً عليها منذ 1851م³، إذ عمل على إستتاب الأمن والقضاء على الصراعات المحلية التي مانت قائمة بين القبائل البدوية والأسرة الحاكمة، وتحقيق الاستقرار السياسي ومحاولة توجيه الأنظار من المجال الضيق إلى المجال الواسع والإستعداد لمواجهة خطر الإحتلال الفرنسي، وعمل كذلك على استمالة القبائل الموالية للفرنسيين، فبات يهدد التواجد الفرنسي بالمنطقة خاصة وأنه دخل معهم في معركة يوم 22 ماي 1852م بمنطقة متليلي⁴.

وعلى إثر هاته التهديدات أسرعت القوات الفرنسية بتعجيل إجراءات إخضاع منطقة ورقلة والسيطرة عليها قبل أن تتحول إلى قاعدة ثورية للمقاومة الشعبية، حيث قام الحاكم العام "راندون Randon" بتجهيز ضباط وفرق لإنطلاق الحملة على ورقلة الموضحة في الجدول الآتي:

1 إبراهيم مياسي، من قضايا تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص 138.
 2 يحيى بوعزيز، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، طبعة خاصة، دار البصائر، 2009م، ص 103، 107.
 3 رضوان شافو، "الإحتلال الفرنسي لمنطقة ورقلة..."، المرجع السابق، ص 8.
 4 عبد القادر كركار، "الصحراء الشرقية الجزائرية وأهميتها الإستراتيجية خلال المقاومة الشعبية 1837م-1883م"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 01، جامعة الوادي، الجزائر، 2020م، ص 174.

الجدول رقم 01: ضباط وفرق الحملة العسكرية الفرنسية على ورقلة

القائد العام للحملة: المارشال <i>راندون</i> Randon الحاكم العام بالجزائر	
الفرق العسكرية	
قوات وهران	بقيادة الجنرال <i>يوسف Yusuf</i>
قوات البيض	بقيادة <i>بيليسيه Bellissier</i>
قوات المدية	بقيادة <i>ماكماهون Mac Mahon</i>
عملاء موالين لفرنسا	سي حمزة ولد بوبكر (أولاد سيدي الشيخ)
فرق عسكرية أخرى	بقيادة <i>ديريو¹ Durieu</i> ، <i>دي بارال Du Barail</i> ، <i>نيقو Niqueux</i>

وفي المقابل لم يكثر الشريف عبد الله لهذا وواصل مقاومته لفرنسا من جهة وإخضاعه للقبائل من جهة أخرى، مما دفع بالسلطة الإستعمارية الإستتجاد بسي حمزة ولد بوبكر² الذي عينه خليفة على المنطقة الممتدة ما بين الجلفة والحدود الغربية كمكافأة له على إشتراكه في إخضاع منطقة الأغواط سنة 1852م³.

فانطلق مدعما من الفرنسيين بقوات قدرها 2000 فارس و200 من المشاة، وسار نحو نقوسة، حيث أخضع في طريقه متليلي ووادي ميزاب إلى أن وصل نقوسة وأخضعها في 5

¹ هو *Durrieu (François-Louis-Alfred)*، *baron*: جنرال فرنسي من مواليد 18 جانفي 1812م، انخرط في مدرسة هيئة الأركان العسكرية وتخرج منها برتبة نقيب عام 1836م، وفي سنة 1854م ترقى إلى رتبة عقيد، كما تحصل على وسام الشرف في 10 أكتوبر 1851م، إضافة إلى عمله العسكري اهتم بالجانب العلمي حيث انخرط في جمعية الأعمال الطبوغرافية بالجزائر، توفي عام 1877م. ينظر رضوان شافو، الاحتلال الفرنسي لمنطقة ورقلة...، المرجع السابق، ص 9.

² *سي حمزة ولد بوبكر*: من قبيلة أولاد سيدي الشيخ، ولد في أواخر 1818م في قرية البيض سيدي الشيخ، لعب دورا كبيرا في تقويض مقاومة الشريف محمد بن عبد الله وناصر بن شهرة في الأغواط وورقلة، توفي في الجزائر عام 1861م، فخلفه ابنه بوبكر الذي تمكن من إلقاء القبض على الشريف محمد بن عبد الله. ينظر رضوان شافو، الجنوب الشرقي الجزائري خلال...، المرجع السابق، ص 344.

³ رضوان شافو، "الاحتلال الفرنسي لمنطقة ورقلة..."، المرجع نفسه، ص 8.

ديسمبر 1853م رفقة الفرق العسكرية الفرنسية التي لحقت به بقيادة ديريو Durieu، دي بارال Du Barail، ونيقو Niqueux.¹

وبعد مرابطة دامت حوالي إثنتان وخمسون يوماً سار سي حمزة نحو ورقلة لإخضاعها ودخل في معارك طاحنة مع الشريف محمد بن عبد الله خاصة في منطقة الرويسات، وانهزم على إثر هاته المعارك الشريف عبد الله يوم 27 جانفي 1854م وتم إخضاع كل قرى ورقلة وإنسحب على إثرها الشريف بن عبد الله إلى تونس لإسترجاع قواه.²

ويجدر بنا الذكر هنا بأن الدعم العسكري لسي حمزة ولد بوبكر لم يكن إلا ظرفياً بسبب عدم قدرة فرنسا آنذاك على إقتحام ورقلة، هذا بالإضافة إلى أن سكان ورقلة رفضوا سلطة سي حمزة عليهم، وأن هذا الدعم كان يستهدف بالدرجة الأولى فتح الطريق أمام الإدارة الإستعمارية للتغلغل داخل المنطقة من أجل الاحتلال.³

بعدها دخل الكولونيل **ديريو Durieu** ليعلن إحتلال ورقلة بإسم فرنسا، مع إلزام سكانها بتقديم ضريبة سنوية تقدر ب 2000 فرنك للسلطة الفرنسية، إلا أن القوات الفرنسية لم تستقر بالمنطقة وغادروها تاركين عملائها لإدارتها بالنيابة عنهم⁴ مع ترك حامية عسكرية مشكلة من مائة جندي، وتجريد السكان من أسلحتهم، بالإضافة إلى أخذ من كل قرية مجموعة من الشخصيات ذات مكانة في قراهم، ووضعهم تحت الإقامة الجبرية بمدينة بسكرة.⁵

¹ رضوان شافو، الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الإستعماري...، المرجع السابق، ص 121.

² رضوان شافو، "الاحتلال الفرنسي..."، المرجع السابق، ص 9.

³ رضوان شافو، الجنوب الشرقي الجزائري...، المرجع نفسه، ص 121.

⁴ عبد الله جيلاني السايح، صفحات من تاريخ ورقلة من أقدم عصورها حتى الاحتلال الفرنسي، دار الآمال، الجزائر، 2010م، ص 113.

⁵ رضوان شافو، الجنوب الشرقي الجزائري...، المرجع نفسه، ص 122.

وبعد ثلاث سنوات أي في سنة 1857م دخلت القوات الفرنسية من جديد ورقلة وإحتلتها بثلاث كتائب جاءت من الأغواط، بسكرة، بوسعادة ونصبوا سي الزبير¹ خليفة على ورقلة².

إلا أن ورقلة تحررت مرة أخرى على يد الثائر بوشوشة ما دفع بالقوات الفرنسية تجهز إمدادات عسكرية بقيادة الجنرال **بولاكروا³ Delacroix** وإحتل ورقلة من جديد في 5 جويلية 1872م ونصب الملازم بن إدريس⁴ آغا على ورقلة، وطلبت منه القوات الفرنسية ملاحقة الشريف بوشوشة وإلقاء القبض عليه، إلا أنه تم عزل بن إدريس وعينت مكانه الأغا عبد القادر بن عمر، إلا أنه قدم إستقالته بعد مرور ثلاث سنوات وذلك بسبب الغزو الفرنسي لتونس سنة 1881م، ونجد أن القوات الفرنسية إستقرت نهائيا سنة 1882م بورقلة بعد ما تم تنصيب أول مركز عسكري فرنسي بمنطقة الرويسات تحت قيادة الفريد

لوشاتولي *A Lechateliev* 5.

أما بخصوص الفترة التي إستقر فيها الفرنسيون في ورقلة سنة 1882م على الرغم من مرور تسعة وعشرون سنة على إحتلالها فذلك راجع إلى التضيق على الحدود التونسية الجزائرية بعدما تم إحتلال تونس 1881م، لقطع أية علاقة مساندة من طرف الورقليين بحكم تواجد جالية كبيرة منهم مقيمين بتونس.

أما عن أسباب تأخر الفرنسيين في الاستقرار بورقلة يمكن أن نحصرها في النقاط التالية:

1 تحول سي الزبير ولد بوبكر سيدي الشيخ من عميل للفرنسيين إلى مقاوم وثائر ضدهم وهذا بعد اندلاع ثورة أولاد سيدي الشيخ سنة 1864م بسبب احتقار فرنسا لعائلته، والتقليل من شأنها، وإلغاء الإمتيازات التي كانت تتمتع بها، من هنا رفع لواء المقاومة بجانب أخوه سيبي لاعلي، وكون أيضا علاقة مصاهرة مع الشريف بوشوشة، الأمر الذي جعله يعين آغا على ورقلة في مكان ناصر بن شهرة عام 1871م. ينظر رضوان شافو، الإحتلال الفرنسي لمنطقة ورقلة...، المرجع السابق، ص 10.

2 عبد الله جيلاني السايح، المرجع السابق، ص 113.

3 **دولا كروا**: القائد العام لقطاع قسنطينة خلال السبعينيات وأحد الضباط الفرنسيين الذين احتلوا بعض الواحات في جنوب شرق الجزائر، وكان له دور كبير في مطاردة أولاد مقرات إلى الصحراء. ينظر رضوان شافو، الجنوب الشرقي الجزائري...، المرجع السابق، ص 126.

4 **الملازم محمد بن إدريس**: جزائري الأصل من مواليد الوطاية بمنطقة بسكرة سنة 1835م، عمل بالجيش الفرنسي كقائد للصباحية، ثم عينته السلطة الفرنسية آغا على تقرت سنة 1874م، كما عينت أخاه السعيد آغا على ورقلة. ينظر رضوان شافو، الجنوب الشرقي الجزائري خلال...، المرجع نفسه، ص 124.

5 رضوان شافو، "الإحتلال الفرنسي لمنطقة ورقلة..."، المرجع نفسه، ص 10.

- وضع الثقة العمياء في عملاء السلطة الفرنسية الذين نصبتهم آغوات في ورقلة مثل السي زبير، حمزة ولد بوبكر، محمد بن إدريس، هؤلاء عجزوا على إستتباب الأمن في المنطقة وفشلوا في تحقيق الاستقرار للمعمرين الفرنسيين.
- تشتت القوات الفرنسية عبر مختلف مناطق الوطن وذلك للقضاء على الإنتفاضات التي اندلعت مثل إنتفاضة أولاد سيدي الشيخ بالجنوب الوهراني 1864م، وإنتفاضة المقراني 1871م، أشغلت السلطة الفرنسية على فرض إستقرارها بالمنطقة وعطلت عجلة التقدم نحو إستكمال الغزو النهائي للصحراء الجزائرية.
- ترك المجال للمستكشفين الفرنسيين لإستكمال رحلاتهم الإستخبارتية في المنطقة قبل إنشاء المراكز العسكرية التي قد تنتج عنها هجمات المقاومين ويصبح المستكشفين عرضة لخطر الإعتداءات والإغتيالات من طرف القبائل¹.

¹ رضوان شافو، الجنوب الشرقي الجزائري...، المرجع السابق، ص 126، 127.

المبحث الرابع: الإحتلال الفرنسي لمنطقة وادي سوف

ساهمت وادي سوف مساهمة فعالة في دعم المقاومة والمشاركة فيها بشتى الطرق، وتضامنت مع أصحاب القضايا السياسية، ووفرت لهم اللجوء السياسي، وحملت لواء المقاومة والجهاد وقدمت الدعم المادي والبشري لقوى المقاومة الشعبية، فقد التجأ إليها أحمد باي بعد صراعه مع فرحات بن سعيد سنة 1838م وخليفة الأمير عبد القادر محمد الصغير بن عبد الرحمن. كما نشط المقاومون في جلب السلاح منها لمجاورة أسواقها لأسواق السلاح بتونس وغدامس وهذا ما جعل منها محل أنظار واستطلاع للفرنسيين¹.

حيث بدأت تفكر في الزحف نحو وادي سوف وذلك راجع لعدة اعتبارات استراتيجية وسياسية وأمنية وعسكرية منها:

- استكمال عملية التوسع وذلك لاستغلال ثروات الجزائر وتوطين المستوطنين الاوربيين.
- تحول المناطق الصحراوية الجنوبية إلى معازل للثوار وملاجئ للمقاومين.
- مثلت منطقة وادي سوف مركزا هاما يقدم الدعم المادي والمعنوي للثائرين بتزويدهم بالمال والسلاح والرجال.
- أن إقليم وادي سوف كان منطقة عبور إلى تونس وطرابلس، وهو فضاء مفتوح يسهل التنقلات، مما جعل الحدود الجنوبية والشرقية غير آمنة في نظر الإستعمار الفرنسي.
- السعي الفرنسي الحثيث في إطار الصراع مع القوى الأوروبية المتنافسة للهيمنة على تونس وليبيا، يدفعها إلى التوغل نحو الجنوب الجزائري حتى تكون قواتها على مقربة من حدود تلك البلدان².

1 علي غنابزية، "دور وادي سوف في معركة المكارين 1854م وآثارها على المقاومة المسلحة في المنطقة الجنوبية الشرقية"، مجلة البحوث والدراسات، ع 1، منشورات المركز الجامعي، الوادي، 2010م، ص1،5.

2 علي غنابزية، مجتمع وادي سوف من الإحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1882م-1954م، مذكرة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009م، ص 15.

ومن هنا بدأت القوات الفرنسية تفكر جدياً في إحتلال منطقة وادي سوف من خلال استكشاف منطقة وادي سوف عن طريق الجواسيس وأخبار يوميات الرحالة وترجمة الدراسات التاريخية للرحالة الذين سبقوا أن كتبوا عن تلك المنطقة أمثال العياشي والأغواطي وقامت بترجمتها رغبة في معرفة تفاصيل أكثر دقة عن تضاريسها وأوضاعها السياسية والإقتصادية والإجتماعية¹.

حيث ظلت الرحلات الاستكشافية متواصلة حتى بعد وصول القوات الفرنسية لسوف سنة 1854م، كالتالي قام بها بعض الرحالة الفرنسيين وبتشجيع من الإدارة الفرنسية ومن أمثال الضابط "دي بونمان De Bonnemain" المسمى مصطفى الذي زار سوف سنة 1856م من أجل تطوير وإحياء تجارة الحكومة العامة، حيث بعث إلى غدامس لدراسة البنية التجارية للمدينة، ولتوضيح المنافع المكتسبة من التعامل مع أسواق الجنوب الجزائري².

ثم زار الشاب "هنري دوفيرييه Duveyrier Henri" بسكرة في أوائل فيفري 1860م ليعرج بوادي سوف ومنه إلى الجريد التونسي، كما كلف من طرف الحاكم العام في جوان 1860م برحلة إلى الطوارق مروراً بوادي سوف وغدامس³.

وبالتالي استطاع هؤلاء الفرنسيون من خلال دراساتهم معرفة كل ما يخص وادي سوف من تضاريس ومسالك وعادات وتقاليد، ومن هنا بدأت في المرحلة التالية وهي إحتلال سوف.

ففي سنة 1854م راجت أخبار ببسكرة مفادها ان القوات الفرنسية تتأهب للقيام بعمليات عسكرية للهجوم على وادي سوف، لأنه حسب زعمهم موطن للثوار يجب القضاء عليه. ففي سنة 1854م التجأ الشريف محمد بن عبد الله إلى سوف لأنه فقد مركز قيادته بورقلة وأغلب أنصاره بها⁴.

¹ سعد الله أبو القاسم، أبحاث واره في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط02، ج05، 2005م، ص247.

² يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص321.

³ إبراهيم مياسي، توسع الإستعمار الفرنسي...، المرجع السابق، ص54، 55.

⁴ إبراهيم مياسي، الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية...، المرجع السابق، ص175.

فبعد إحتلال الجيش الفرنسي لإمارة بني جلاب بتوقرت في 1854م التي تعتبر القلعة الحصينة والدرع الواقي لوادي سوف¹، قام الجنرال ديفو بترك بعض قواته بالمدينة من أجل الحفاظ على الأمن² مواصلا بالقوات القادمة من باتنة والأغواط وبوسعادة نحو وادي سوف، لكن إنعدام الطرق المعبدة حال دون سهولة سير الجيش³، مما جعل القوات الفرنسية تتخذ طريق الطيبات القبليّة، وبعد قتال عنيف بين المجاهدين والفرنسيين وصلت القوات الفرنسية يوم 13 ديسمبر 1854م إلى أول بلدة من إقليم سوف تدعى "تاغزوت"⁴، وإختار القائد الفرنسي ديفو الدخول إلى هذه البلدة نظرا لمعرفته المسبقة بموقف السكان المعادي لخصوم الفرنسيين وقد تم إستقبالهم من طرف الأهالي هذا ما صرحت به الكتابات الفرنسية مشيرة بذلك إلى إستسلام سكان المنطقة بسهولة، إلا أن الرأي الوطني المحلي له وجهة نظر أخرى تفيد أنه كان هناك صدام عنيف بين الطرفين وأن سكان سوف بذلوا أقصى ما عندهم من جهد وهذا ما أشار إليه صاحب الصروف بقوله: "ثم بعد أن نزلت تلك المحلة بتقرت وأخضعت أهلها إرتحلت متوجهة إلى سوف لتخبر أهلها وبعد قتال بين الطرفين أياما عديدة في النخيل والسيوف تغلبت المحلة على سوف"⁵.

ويجدر بنا الذكر بأن عدم تكافئ القوة بين الطرفين كباقي المناطق الأخرى من الجزائر، وطبيعة السكان الذين يعيشون حياة قبلية بدوية مع إنعدام وحدة الصف نتيجة الصراعات القبليّة فضلا عن قلة الأسلحة، وفي المقابل إمتازت القوات الفرنسية بضخامتها وقوة تنظيمها وحنكة قيادتها⁶.

ولما عجزت القوات الأهلية في رد الزحف الفرنسي إستجابت للمفاوضات التي مكنت هذه القوات من التقدم نحو "كويينين"⁷ ومنها إنتقلت إلى عاصمة سوف مدينة الوادي في حدود 14 ديسمبر 1854م، ثم رجعت إلى تقرت يوم 22 ديسمبر 1854م لتقوم بتنظيم الإقليم

¹ يحي بو عزيز، ثورات الجزائر في القرنين...، المرجع السابق، ص 127.

² علي غنابزية، مجتمع وادي سوف من الإحتلال...، المرجع السابق، ص 20.

³ إبراهيم مياسي، قبسات من تاريخ الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر، 2013م، ص 103.

⁴ تاغزوت: قرية تقع في الجهة الشمالية من عاصمة سوف وتبعد عنها بحوالي 14 كلم.

⁵ إبراهيم محمد الساسي العوامر، المرجع السابق، ص 24.

⁶ علي غنابزية، المرجع نفسه، ص 21.

⁷ كويينين: قرية تقع شمال الوادي، وتبعد عنه بحوالي 6 كلم.

وضبط شؤونه الإدارية بالإشتراك مع منطقة وادي سوف فبادر العقيد "ديفو" بتعيين "علي باي" بن فرحات بن سعيد حاكما "قايد" على تقرت وسوف، وباسم فرنسا منذ 26 ديسمبر 1854م أقر الحاكم العام في الجزائر هذا التعيين في 29 ديسمبر 1854م، وعند رجوع القوات الفرنسية لم يترك في سوف أي أثر لها من القوات العسكرية لتحافظ على إحتلالها وذلك جعل المنطقة محل صراع مرير¹ ومقاومة متواصلة دامت قرابة ثلاثة عقود، ولم تتمكن السلطات الفرنسية من الاستقرار النهائي بسوف إلا في بداية الثمانينات عندما طوقت تلك المقاومات وقضت على زعمائها.

ويمكننا القول إن الإحتلال الفرنسي تمكن فعليا من بسط سيطرته على مناطق الجنوب الشرقي بدءا من بوابة الصحراء بسكرة في 1844م، ثم منطقة الأغواط وورقلة، وصولا إلى منطقة وادي سوف وفق ترتيب كرونولوجي محكم منذ زمن البعثات الإستكشافية، إذ تمكنت السلطات الفرنسية من إحتلال هذه المناطق بإعتمادهما على إثارة الفتن بين صفوف المجتمع الصحراوي والدعم الذي قدمته قادة بعض القبائل المحلية لها إستطاعت من خلاله بث نفوذها بالجنوب الشرقي وتثبيت دعائمها به.

¹ علي غنابزية، مجتمع وادي سوف...، المرجع السابق، ص 21.

الفصل الثاني

الأساليب الإستعمارية الفرنسية في الجنوب الشرقي الجزائري

المبحث الأول: السياسة الاجتماعية.

المبحث الثاني: السياسة الاقتصادية.

المبحث الثالث: السياسة العسكرية.

المبحث الرابع: السياسة الدينية والتعليمية.

اعتمدت السلطات الاستعمارية الفرنسية على عدة وسائل وأساليب ضمن مخططاتها لإخضاع الجنوب الشرقي، والتي تباينت في مضمونها وأساليبها واتفقت في أهدافها الاستعمارية الاستيطانية ونجد أن هذه الأساليب قد مست جميع الجوانب والمجالات¹.

المبحث الأول: السياسة الاجتماعية:

لم يترك الاستعمار الفرنسي وسيلة إلا واستخدمها من أجل إخضاع المجتمع الجزائري عامة وسكان الجنوب الشرقي خاصة إخضاعا تاما لها حيث عملت على تفكيك البنية الاجتماعية لهذه المنطقة من خلال:

استغلال التفرقة والخلافات (فرق تسد): استفاد الاحتلال الفرنسي من الخلافات والنزاعات القديمة بين القبائل والعشائر ولو بطريقة غير مباشرة، وعمل على بث بذور الشقاق بينهم ضمن سياسة فرق تسد²، حيث تستغل التنافس بين العائلات والقبائل الكبرى، فقد أسندوا إلى بعض أفرادها الوظائف والمناصب والقيادات وأغدقت عليهم المال والجاه وعلقت لهم الأوسمة، وهكذا برز في الجنوب الشرقي الجزائري عائلات متنافسة على السلطة كعائلة بوعكاز وعائلة ابن قانة وابن عاشور وابن زكري وغيرها³ ومن مظاهر ذلك أنها شجعت فرحان بن سعيد من عائلة بوعكاز ضد شيخ العرب ابن قانة، كما وسعوا الخلافات بين أمراء بن جلاب (سلاطين تقرت) حول السلطة بين "عبد الرحمان بن عمر" وابنه "عبد القادر" ضد "سليمان بن علي"⁴، أعلن هذا الأخير نفسه خليفة لشريف ورقلة غير أن الحاكم العام الفرنسي قبل بإقتراح تقدم به القائد العسكري للإقليم العقيد "ديفو Devaux" بتعيين بوعكاز تبعا لسياسة فرق تسد لتعميق الخلاف⁵، وقد أثرت هذه الخلافات على أهل سوف فانقسم السكان إلى قسمين حسب موقفهما:

الصنف الأول من الطرود: يتكون من أهل الوادي وقمار والبهيمة والديبيلة الذين انحازوا إلى عائلة بوعكاز.

¹ عطلاوي عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 159.

² إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي ...، المرجع السابق، ص 40.

³ المرجع نفسه، ص 33.

⁴ رضوان شافو، مقاومة منطقة تقرت وجوارها للاستعمار الفرنسي (1852-1876)، مذكرة ماجستير، كلية العلوم

الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007، ص 39.

⁵ إبراهيم مياسي، المرجع نفسه، ص 174.

الصنف الثاني: المتكون من أولاد سعود وهم سكان الزقم وكوينيك وتاغزوت الذين مالوا إلى عائلة ابن قانة.¹

وفي إطار إخضاع منطقة الأغواط سنة 1852م استخدمت السلطة الفرنسية **أحمد بن سالم وسي الشريف بلحشرش** آغا أولاد نايل من أجل احتلال الاغواط، كما اتبعت سياسة التفرقة، حيث قام الجنرال ماري مونج **Marey-Monge** بدور كبير في تطبيقها، حينما أوقع خلافا بين الشيخ أحمد بن سالم وصهره بن ناصر بن شهرة، الأمر الذي سهل من عملية احتلال الاغواط، كما استغلت فرنسا تحالف الشيخ التيجاني مع أحمد بن سالم اللذين عملا على تحطيم نفوذ خليفة الأمير الحاج العربي، حتى أرغم على مغادرة الأغواط والفرار بجده.²

وقبل إخضاع منطقة ورقلة سنة 1854م وظفت السلطة الاستعمارية الصراع الذي كان قائما بين أسرة **علاهم** وأسرة **بني بابية**، خاصة وأن ورقلة أصبحت تعيش فراغا سياسيا وبدون سلطان، فسارع **الشيخ الحاج أحمد بن بابية** سنة 1849م إلى إرسال ابنه الشيخ **بوحفص** رفقة عدة بن ساعد شيخ قبيلة **سعيد عتبة** إلى السلطة الفرنسية محملين بالضرائب ومعلنين عن مساعدتهم لاحتلال مدينة ورقلة، وإخضاع القبائل المحيطة، والاعتراف بالسلطة الفرنسية مقابل منحه لقب الخليفة إلى الشيخ ابن بابية، وقد وافقت الإدارة الفرنسية على ذلك، وعينه خليفة على نقوسة في جويلية 1849م، ثم وضعت تحت تصرفه في 20 نوفمبر 1849م كتيبة تتكون من 200 فارس، هاجم بها ورقلة، خاصة عندما وصلت الإمدادات الفرنسية من جبل عمور في نهاية شهر أفريل، وحاصرت مدينة ورقلة.³

هذا بالإضافة إلى استغلال الصراع الذي كان قائما بين الجلالية والتجانيين بمنطقة وادي ريغ حول النفوذ والسيطرة حيث عملت السلطة الفرنسية الاستعمارية على تغذية هذا الصراع قصد تهيئة الظروف لإخضاع المنطقة والتحكم في رقاب سكانها، وهذا ما تم بالفعل

¹ عطلاوي عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 136.

² رضوان شافو، "أساليب الإدارة الاستعمارية في إخضاع سكان مناطق الجنوب"، عصور الجريدة، ع 11، فيفري 2014، ص 286.

³ Passager, **Ouargla (Sahara constantinois)**, institut pasteur d'Algérie, 1957, p 103.

حيث تم احتلال منطقة وادي ريغ بعد انهزام سكان المنطقة في معركة المقارين في 29 نوفمبر 1854م، والإعلان عن دخول المنطقة تحت السيطرة الفرنسية¹.

وهكذا نلاحظ أن الصراع الذي حدث في منطقة الجنوب الشرقي بين الإخوة الأعداء لم يخدم غلا المصالح الاستعمارية، حيث ساعدها في مد نفوذها بعد تكريس الشقاق ليسهل عليها عهر المقاومة الوطنية.

استمالة الزعمات المحلية: أما يعرف بأسلوب الإغراء وتوزيع الألقاب²، فقد ساهم التواطؤ بين الدولة الاستعمارية وعائلات الأعيان مساهمة كبيرة في توطيد الاحتلال³ ، فقد عمدت السلطات الفرنسية إلى إغراء بعض العائلات الصحراوية بتقليدها ألقابا كالقياد والآغا والخليفة كما أعطتهم نوعا من القوة التي تسمح لهم بممارسة حكمهم وسلطتهم وسط الشعب الذي لن ينفاد لهم بسهولة⁴ ، و من بين أهم و أبرز من قدم خدماته وولائه للسلطات الفرنسية نجد محمد الصغير بن أحمد بن الحاج الذي كان له دور كبير في الاستلاء و اخضاع بسكرة حيث كان من أوائل الذين شجعوا الاستعمار الفرنسي ، و نخص بالذكر كذلك حمزة ولد بوبكر الذي خدم الفرنسيين أكثر من خدمة أنفسهم فقد أشادت السلطات الفرنسية به و بخدماته التي قام بها في قولهم : " ربط قضيته بقضيتنا ، و كان وفيانا لنا ، كان يرغب في سلطنة ورقلة ليكون بين أيدينا ، و يكون الشخص المهم في توسعنا بأقصى الجنوب ، كان طموحه حكم الجنوب أو على الأقل من ورقلة حتى توات " لقد كان له الفضل الكبير في احتلال ورقلة .⁵ نذكر أيضا سي الزبير الذي كان أول سلطان على ورقلة بعدما فرضت السلطات الفرنسية هيمنتها عليها، وما يؤكد تعاون زعماء ورقلة شهادة

¹ رضوان شافو، أساليب الإدارة الاستعمارية ...، المرجع السابق، ص 287.

² علي غنابزية، مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي، المرجع السابق، ص 33.

³ محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، تر نجيب عياد صالح المثلوني، موفه للنشر، مصر، 1994، ص86.

⁴ يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان مطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 184.

⁵ رضوان شافو، المرجع نفسه، ص 292.

الجنرال تروملي الذي يؤكد أن الاستعمار الفرنسي انتهج هذه السياسة قبل توطيد ركائزه في المنطقة وذلك منذ 1851م تاريخ تعيين الخليفة بن بابية على ورقلة¹.

و حسب روايات المجتمع المحلي فإن علي باي فرحات هو الآخر قدم خدمات كبيرة للفرنسيين بمنطقة ورقلة و تقرت و وادي سوف و هذا باعتراف السلطات الفرنسية من خلال الرد على الشكوى التي تقدمت بها قبيلة سعيد عتبة بورقلة ضده و كان الرد كالاتي : " منذ عدة سنوات 1854م ، 1856م ، 1865م كل تلك المناطق أي تقرت و ورقلة و وادي سوف كانت تحت قيادة علي أحمد باي و عليه لم تكن على علم بالطريقة التي يسير بها هذه المناطق مع العلم أنها كانت قيادة حكيمة و جدية ، و عليه لم يشكل أي خطر و لم تسجل أي مخالفات ، على العكس كانت طريقته مبنية على الثقة المتبادلة بين الحاكم و المحكوم " ²

استغلال نفوذ الطرق الصوفية: نجد من بين الشيوخ الذين تواطؤوا مع المحتل الفرنسي شيخ التيجانية محمد العروسي الذي قدم المساعدة لبعثة فور لامي الفرنسية في بلاد الطوارق فيما بين 1898م و 1899م وهذا هو هدف السلطات الفرنسية من هذه السياسة أي دعم و تسهيل مهمة الرحالة الفرنسيين و تأمين حياتهم، بالإضافة إلى محمد الهاشمي شريف شيخ القادرية الذي عمل على مساعدة الفرنسيين على تأمين ظروف التنقل في جنوب الصحراء الجزائرية ببذل جهود كبيرة لإصلاح و تحسين و صيانة نقاط مياه قديمة و إنجاز آبار جديدة نحو غدامس³.

أسلوب الترغيب و التهيب : يعرف في الأدبيات الفرنسية أسلوب العصا و الجزرة ، فبعد اخضاع منطقة الزيبان للقوات الفرنسية حاولت هذه الأخيرة التقرب إلى السكان مستخدمة وسائل الترغيب تارة و وسائل التهيب تارة أخرى ، و مثالا على نجاح هذا الأسلوب ما جاء في الروايات الشفوية عند أهالي منطقة وادي ريغ و منها : " أن بعض أعيان تقرت و الذين هددهم سليمان جلابي بالقتل ذهبوا إلى بسكرة طالبين من الضباط العسكريين

¹ س. تروملي، الفرنسيون في الصحراء يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية، تر محمد المعراجي، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، دار غرناطة، الجزائر، 2013، ص83.

² رضوان شافو، الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص 58.

³ عبد القادر كركار، المرجع السابق، ص 170.

الفرنسيين هناك التدخل لحمايتهم فكان رد القائد الفرنسي : أريد أموالا مقابل ذلك فقبلوا ، فكانت مصاريف الحملة الفرنسية ضد وادي ريغ على نفقة هؤلاء الأعيان¹.

¹ رضوان شافو، أساليب الإدارة الاستعمارية, المرجع السابق، ص 289.

المبحث الثاني: السياسة الاقتصادية

من الأساليب التي إعتمدت عليها السلطات الفرنسية في الصحراء الشرقية سياسة الإفكار و التي هي عبارة عن مجموعة من القوانين الإقتصادية القمعية منها منع التبادلات التجارية بين مختلف القبائل ، تضيق الخناق على التجار الصحراويين و إغراقهم بالقروض الربوية و إقبال كاهل السكان بالضرائب ، و التي برزت منذ الاحتلال و أبرز مثال عليها المرسوم الصادر في 17 جانفي 1845م الذي حدد مجموعة من الضرائب مع استحداث ضريبة جديدة خصت عمالة قسنطينة و منطقة القبائل و الجنوب ، و منذ 13 جويلية 1874م أقرت السلطة الفرنسية ضريبة جديدة عرفت بالضريبة العربية ، زيادة على الضريبة الفرنسية المباشرة¹.

ف نجد أن ورقلة وبالرغم من محدودية إنتاجها الفلاحي ومستواها المعيشي المتدني إلا أنها لم تسلم من فرض الضرائب عليها هذا ما دفع سكانها في كل عام يقومون ببيع أجزاء من أراضيهم الفلاحية لتسديد ما عليهم من ضرائب أو من أجل تزويج بناتهم²، ومن الضرائب التي فرضت على أهالي ورقلة نجد ضريبة اللزمة، ضريبة الزكاة ، ضريبة العشور، و كذلك ضريبة حول الحبوب ، بسبب هذه الضرائب ما كان على سكان ورقلة إلا البحث عن حلول لتسديدها ، فاستغلت السلطات الفرنسية الفرصة و قدمت لهم قروض عينية ذات أرباح ربوية بلغت سنة 1891م حوالي 200 فرنك ، أدت إلى تجريد الحضريين الورقليين من نخيلهم و من أشياء أخرى³. ومثالا على القروض الربوية نجد أحد الفلاحين الورقليين سنة 1898م تحصل على قرض ربوي ب 200 فرنك لمدة عشرين يوم بفائدة ربوية قدرها 180 فرنك⁴.

1 أحميدة عميراي وآخرون، آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري 1830-1954، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2017، ص 56-57.

2 دوني بيلي، معالم لتاريخ ورقلة 1872-1992، تر علي ايدر، ط1، 1995، ص41.

3 رضوان شافو، الجنوب الشرقي الجزائري.....، المرجع السابق، ص 290-291.

4 دوني بيلي، المصدر نفسه، ص 33.

من هنا يتضح الوضع المأساوي الذي آل إليه الأهالي حيث أصبحت ظاهرة الربا منتشرة والمستفيد الوحيد وراء هذه الظاهرة هم اليهود والمعمرين¹.

أما فيما يتعلق بتضييق الخناق على التجار نأخذ المزابيين كمثال على هذه السياسة التعسفية، قام الجنرال "راندون Randon" الحاكم العام بالجزائر آنذاك بإصدار قرار ينص على عدم بيع الحبوب للمزابيين في جميع أسواق التل، حجز كل القوافل المخالفة لهذه الأوامر، ويرجع سبب هذا القرار إلى مشاركتهم في المقاومة بالمناطق الشمالية، وتأييدهم لثورة الشريف محمد بن عبد الله بورقلة وتمويله بالمؤونة والذخيرة و هذا ما أثار قلق المزابيين و دفعهم إلى عقد اتفاق الحماية مع الفرنسيين سنة 1853م ، خوفا على عائلاتهم من السلطات الفرنسية².

أما في منطقة وادي ريغ عمل علي باي ممثل السلطة الفرنسية على إفقار المجتمع المحلي إفقارا لا مثيل له و ذلك عن طريق إتقال كاهل الأهالي بالضرائب و ذلك تطبيقا لسياسة الإفقار التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية لإخضاع سكان المنطقة ، و قد عرفت المنطقة مجاعة كبيرة سنة 1867م نتيجة لارتفاع أسعار المواد الغذائية و استلاء المعمرين على أملاك المزارعين و الممولين ، و بعد ارهاق الأهالي بالضرائب الباهظة تعزز أسلوب الضغط الاقتصادي و أصبح الأهالي يقومون باستدانة المال من الفرنسيين لتحرير أنفسهم مقابل الفائدة الربوية التي تقدر ب 200 فرنك في السنة كما ذكرنا سابقا ، و عند عجزهم عن دفع ديونهم يرهنون أراضيهم و ممتلكاتهم عند دائنيهم و تصبح هذه الأراضي و الممتلكات ملكا لهم تلقائيا عندما لا يستطيعون الأهالي دفع ما عليهم من ديون³.

كان الهدف الأول والأساسي لأسلوب الإفقار وضغط الاقتصاد هو تحطيم الأهالي ماديا لأنها تمتص كل ما لديهم من فائض وتجعلهم في ضيق دائم وفي اضطرار مستمر لسد الرمق، وبالتالي لا يتمكنون من القيام بالثورة أو حتى التفكير فيها⁴.

1 رضوان شافو، أساليب الإدارة الاستعمارية ...، المرجع السابق، ص 291.

2 نفسه، ص 290.

3 نفسه، ص 291.

4 دوني بيلي، المصدر السابق، 6،7.

وهذا كان فيما يخص أسلوب الافقار وضغط الاقتصادي أما الهدف الأساسي للغزو الاستعماري الفرنسي هو استنزاف الأراضي الجزائرية عامة والصحراء الشرقية خاصة سواء الباطنية منها أو السطحية، فحاولت أولا التعرف على امكانياتها الاقتصادية وذلك عن طريق البعثات الاستكشافية التي قام بها مختلف الفرنسيين الى الصحراء الشرقية قبل الاستلاء عليها وذلك من أجل استغلال واستثمار هذه الإمكانيات في مصالحها الاقتصادية الخاصة.

أما عن الأهداف الرئيسية للفرنسيين من استلائهم على الجنوب الشرقي تمثلت في:

- تسهيل عمليات تنقل القوافل العسكرية والتمكن من القضاء على بؤر التوتر للمقاومة
- ربط مستعمراتهم ببعضها البعض بين الشمال والجنوب
- خدمة أغراض التجارة الفرنسية وفتح الأبواب والسبل لها في كل أسواق القارة الإفريقية.
- تنشيط الاقتصاد الفرنسي والعمل على ازدهاره وذلك من خلال استغلال الثروات الطبيعية التي تزخر بها الصحراء¹

ولتحقيق غايتها طرحت جملة من المشاريع الاقتصادية التي كان من بينها مشروع مد خط السكة الحديدية من الشمال إلى الجنوب عبر الصحراء²، وترجع فكرة هذا المشروع إلى المهندس "**ديبونشال Debuonchel**" الذي قدم الدراسات الأولى سنة 1874 وأشار فيها إلى أن فتح هذا الخط يسمح لفرنسا والجزائر التوغل داخل الأوطان السودانية والإستحواذ على تجارتها³

ومن نماذج خط السكك الحديدية في الصحراء الشرقية نأخذ **خط السكة الحديدية بسكرة ووادي سوف** كمثال حيث تعود أصول فكرة هذا الخط إلى بدايات العقد الأول من القرن العشرين حيث رأوا فيها الوسيلة الوحيدة للنهوض بإقتصاد هذه المنطقة وكان أكبر حافز لهم

¹ علي غنابزية، الكفاح السياسي والعسكري لنشأة التحرير بالصحراء الجزائرية 1954-1962، دار الثقافة، الوادي، د.س، ص 82.

² إسماعيل العربي، تاريخ الرحلة والاستكشاف في البر والبحر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص330.

³ إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص437.

هو تصريف كميات التمور من وادي سوف نحو بسكرة عبر تقرت والتي بلغت 1200 طن سنة 1913م¹، أما فيما يخص الجانب الزراعي قام الفرنسيين بإحصاء النخيل منذ إحتلاله للمنطقة مع تطوير وسائل التصدير خاصة دقلة نور إلى فرنسا و التبغ إلى تونس و السماح بإقامة مؤسسات احتكارية و كان اهتمامهم الكبير للتمور قبل اكتشافهم للبتروول ، كذلك وجهوا أنظارهم نحو الآبار و ذلك لما تحتويه الصحراء الجزائرية من ثروة مائية و خاصة الآبار العميقة أو كما تسمى بالآبار الإرتوازية ، في سنة 1880م في منطقة الزاب الشرقي احصيت تسعة آبار بعمق إجمالي 809م تكفي لري 1500 نخلة².

بالنسبة للمجال الصناعي نجد أن بداياتها كانت تقريبا تقتصر على المصانع الخاصة بالإضاءة ومثالا على ذلك مصنع بسكرة الذي اشترته شركة بافوالو سنة 1897م الذي كان مهمته استبدال الوسائل التقليدية بوسائل جديدة تشتغل بالكهرباء لإنارة المدينة³، و نجدهم أيضا قد اهتموا بمجال الفنادق في اطار قطاع الخدمات حيث قامت بإنشاء فنادق في كل مناطق الجنوب الشرقي من بين هاته الفنادق فندق transatlantique بوادي سوف و فندق الكتبان الذي أنجز من طرف المعمر "Lucas" و هو مقابل الفندق الأول تماما و تتواجد هذه الفنادق بالقرب من المنشآت الفرنسية و يجدر بنا الإشارة عدد السياح بدأ بالتزايد بالمنطقة منذ أن تم انشاء هاته الفنادق⁴.

أما الفنادق التي أنشأت في بسكرة نذكر: النزل الملكي، فكتوريا، الصحراء، محطة القطار والمستفيد الأكبر منها هي السلطات الفرنسية بكل تأكيد.

عموما كانت السياسة الاقتصادية بالجنوب الشرقي في العهد الاستعماري أنها قامت ببناء نظام اقتصادي يخدم الفرنسيين على حساب الأهالي الجزائريين بما فيهم سكان الصحراء الشرقية ومن النتائج التي خلفتها هذه السياسة ما يلي:

1 علي غنابزية، مجتمع وادي سوف...، المرجع السابق، ص 247.

2 جمال عناق، المنشآت المانية وطرق استغلالها في منطقة الزاب الشرقي، مذكرة ماجستير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2009، ص52.

3 عبد الحميد زردوم، تاريخ بسكرة الفرنسية 1844-1963، مديرية الثقافة، بسكرة، 2004، ص 37.

4 علي غنابزية، المرجع نفسه، ص 246-247.

- لقد سبب إقبال كاهل السكان بالضرائب والغرامات إنعكاسا سلبيا على الإنتاج الاقتصادي مثلا الضرائب الإستهلاكية التي ارتفعت سنة 1919م إلى 135000 فرنك بعدما كانت سنة 1853م تقدر بـ 4500 فرنك، وقد توسعت هذه الضرائب إلى أن شملت ضريبة الزكاة والعشر وكذلك على المحاصيل الزراعية والأنفس والحيوانات¹ ، وقد أثرت هذه الضرائب على حياة السكان الذين أصبحوا عاجزين عن نشاطهم الفلاحي والتجاري بسبب تراكم ديونهم لدى أصحاب النفوذ من الفرنسيين وعجزهم عن تسديدها فيضطروا لبيع ممتلكاتهم بأثمان زهيدة أو رهنا² .
- استنزاف الثروات الباطنية وذلك بالتنقيب عن المياه عن طريق حفر الآبار الإرتوازية من طرف المعمرين والمستثمرين الأجانب خاصة في منطقة وادي ريغ والزيبان، حيث ارتفع عدد النخيل لدى الشركات الإستعمارية فازدهرت مغروساتهم على عكس الفلاحين الذين لم يستطيعوا استصلاح أراضيهم البور التي لم تفرنس. في سنة 1930م تضاءلت المساحة الفلاحية وماتت حوالي 3000 شجرة في منطقة الأغواط³.
- انهيار تجارة القوافل أو كما تعرف بالإقتصاد التقليدي وذلك بعد انشاء العديد من الطرق وخطوط السكك الحديدية حيث أصبح يتم نقل البضائع والسلع الصحراوية عن طريق الشاحنات والعربات واستبدلت بالدكاكين المتمركزة في شمال الصحراء⁴.
- تراجع الثروة الحيوانية بنسبة 80% وذلك راجع لنظام العشابة الذي فرضته فرنسا على مربّي المواشي، من أجل حماية أراضي المعمرين الرعوية المقيمين في المراعي الصيفية، ترك هذا النظام البدو لا ينتقلون إلا باحثين عن العمل بعد أن فقدوا قطعانهم وقد بلغ هذا النقص أقصى حد له سنة 1910م⁵.

¹ صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين 814 ق.م 1962م، دار العلوم، عنابة، 2003، ص207.

² أحيدة عمراوي وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص140.

³ داود شريف، التوسع الإستعماري الفرنسي في الجنوب الجزائري 1844-1912، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2015-2016، ص147.

⁴ المرجع نفسه، ص 147.

⁵ عبد الحميد زوزو، ثورة الأوراس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص52.

- غزو السلع الأوروبية للأسواق الجزائرية مما أدى إلى ضعف التبادل التجاري بين الشمال والجنوب وبلدان وسط الصحراء، كما أن بعض المنتجات أصبحت غير رائجة¹ ، فبعد أن كان التمر المنتج الأساسي للتسويق في هذه الأراضي² أصبح لا يجد له مشتري بعد أن سدت أسواق السودان في وجهه ، كذلك أصبحت المنتجات التقليدية غير رائجة نجد مثلا عدد صناع الزرابي في الميزاب أصبح لا يتجاوز 1500 صانع في حين كان عددهم حوالي 6000 صانع ، و بعد اكتشاف فرنسا أهمية الحلفاء في صناعة عجينة الورق أصبحت هذه الأخيرة مصدر آخر للتصدير نحو الخارج³.

¹ جمال قنان، نصوص سياسة جزائرية في القرن 19م (1830م-1914م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص150

² ابن هطال التلمساني (أحمد)، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تح محمد بن عبد الكريم، عالم الكتاب، القاهرة، 1969م، ص113.

³Dumas، Op. Cit،p94 .

المبحث الثالث: السياسة العسكرية

القواعد والأبراج العسكرية: عملت السلطة الفرنسية منذ وقت مبكر على إنشاء بعض القواعد العسكرية ونصب الحاميات والحصون والأبراج في المناطق المحتلة، وهذا لتثبيت حكمها في الصحراء الشرقية من أهم هذه الأبراج:

▪ **برج فلاتيرس: Flatters** برج عمر ادريس حالياً، كانت واحة "تيماسينين" نقطة التقاء وعبور هامة لقوافل الصحراء في الطريق العرضي من عين صالح إلى غدامس وطريق ورقلة حاسي الطويل، اختار الفرنسيون هذا الموقع لأنه يجمع بين الطرق التجارية، وقد تم بناء هذا البرج ما بين سنة 1906م و1907م من طرف صباحية تقرت وقد كلفهم إنجازهُ تكلفة تقدر بـ 5300000 فرنك¹. وهو بناء مربع على شكل حصن به غرف ومخازن وغرف نوم للجنود، له بوابة ضخمة وسور عليه حراس، يسمح بمراقبة جميع القوافل القادمة من الغرب والشمال والعكس².

▪ **برج شانديز Chandez:** أو البرج الأحمر ببني تور، سمي هذا البرج نسبة إلى الضابط شانديز³ وقد بدأت أشغال هذا البرج أواخر 1885م، تعود أسباب بناء هذا البرج إلى افتقار السلطة الاستعمارية لبعض المكاتب الإدارية الخاصة بشؤون الأهالي، واستخدموه أيضاً كمركز للمراقبة، يقع هذا البرج في وسط ثكنة عسكرية ذات أسوار سميقة يمتد على مساحة تفوق 1000م في زواياه الخارجية أربعة أبراج مراقبة، وهو عبارة عن طابقين:

الطابق الأرضي: يضم قاعات عديدة مخصصة للاستنطاق والتعذيب

الطابق العلوي: يحتوي على 12 زنزانة فردية وكذلك قاعات للتعذيب⁴.

▪ **برج لالمان: Lallemand** سمي بهذا الاسم نسبة إلى الضابط⁵ Lallemand، أنشئ سنة 1894 في حاسي بلحيران شرق ورقلة على مفترق طرق (تقرت-تماسنين)

¹ رضوان شافو، الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الإستعماري، المرجع السابق، ص 208.

² J.C Humbert ، Sahara (Trass de l'homme)، 1989، p 174.

³ شانديز Chandez: ضابط فرنسي توفي سنة 1918 في عين قطارة في الشمال الشرقي لعين صالح

⁴ رضوان شافو، المرجع نفسه، ص 209.

⁵ Lallemand: ضابط فرنسي شارك في إخضاع منطقة القبائل و قمع انتفاضة المقرانيين سنة 1871.

و (الوادي-تماسنين) و (ورقلة-غدامس) ترجع فكرة انشائه في هذا الموقع للعسكري بيجات Bujat قائد إقليم تقرت، بلغت تكلفة إنجازه 1800000 فرنك¹.

بالإضافة إلى حصن ميريبال "Fort Méribel" وحصن ماكماهون "Fort McMahon" اللذان أنشئهما الاستعمار الفرنسي لتأمين حدوده على تقرت ووادي سوف وقد أحاطها هي الأخرى بأبراج مراقبة لحراسة الطرق وتأمينها، من أهمها برج "الحاج قدور" وبرج "فرجان" وبرج "بوشحة"²

إنشاء مصلحة للسيارات العسكرية: أنشئت مصلحة للسيارات العسكرية بورقلة، وكانت أول تجربة لها في 22 جويلية 1916م في عهد العقيد ميني Meynier، حيث انطلقت سيارتين خفيفتين على خط تقرت - عين صالح وكانت قد وصلت واحدة الى هدفها في حين تعطلت الأخرى، في ماي 1917م كانت تجربة انطلاق سيارات عسكرية تتكون من خمس عربات خفيفة على مسافة 750 كلم عبر طريق ورقلة - عين صالح، وفي إطار تدعيم المواصلات تم فتح خط بري للسيارات العسكرية سنة 1918م يربط بين تقرت وورقلة برحلات أسبوعية³.

وقد تم إجراء مسابقة عسكرية للسيارات الصحراوية في إطار الترفيه العسكري سنة 1929م عبر طريق تونس - كاو - تونس مرورا بورقلة وتقرت، بمشاركة 38 سيارة من 18 نوع⁴.

وكانت مصلحة السيارات العسكرية بورقلة تستقبل عتادها العسكري من الجزائر العاصمة عن طريق القطار الذي يصل الى تقرت عبر عدة محطات، بعدها تنقل برا الى ورقلة، وقد وصلت أول قافلة عسكرية قادمة من الجزائر العاصمة في 17 سبتمبر 1919م قوامها 18 شاحنة صغيرة، وتم أيضا إنشاء كتبية صحراوية متنقلة مجهزة بسيارات عسكرية خفيفة ونصبت وحدة مدفعية صحراوية متحركة بورقلة على طول الخط الرابط بين برج شانديز

1 دوني بيلي، المصدر السابق، ص 31.

2 إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 189.

3 دوني بيلي، المصدر نفسه، ص 40.

4 المصدر نفسه، ص 55.

وبرج لوطو، زدوه بمدافع من عيار 75 1. الهدف الرئيسي من انشاء هذه المصلحة هو الاستفادة منها والاستعداد للحرب العالمية الثانية حيث قامت السلطات الفرنسية بتعزيزات أمنية على الحدود الشرقية، وذلك بسبب التوتر الحاصل بين فرنسا وإيطاليا، حيث عملت على ترميم برج لالمان وبرج فلاترس وزودتهم بالمزيد من المدافع والمشاة، واعتمدت على شاحنات لاتيل والشاحنات صغيرة في عملية الترميم وسيارات التوربيدو وسيارات رونو لنقل أفراد وحدات الجيش الفرنسي الى هذه الأبراج 2.

انشاء محطة للطيران الفرنسي: كان أول استطلاع جوي في الجنوب الشرقي فوق مدينة ورقلة في ماي 1917 بعدما أصبحت مركزا للقيادة العليا لمجموع الصحراء (الجزائر، تونس، السودان) في المدة ما بين 1917م و1919م، قامت به طائرتين من نوع فارمان، انطلقتا من القاعدة الجوية ببسكرة، يتميز هذا النوع من الطائرات بمحركات بقوة 80 حصان وسرعة 100 كلم/سا لمدة ثلاث ساعات ونصف دون هبوط 3. وفي 01 فيفري 1919م تم انشاء أول سرب جوي صحراوي في ورقلة قوامه ست طائرات من نوع فارمان، ثم تم تخصيص مكان لهبوط الطائرات بجانب برج شانديز، وبعدها تحول المهبط الى منطقة العين البيضاء حاليا 4. والهدف من استحداث المحطة العسكرية للطيران بورقلة هو استكشاف الصحراء الى حدود الهقار ولتتمكنوا من استخدامه في الغارات الجوية في حال حدوث أي إعتداء عليها 5.

1 رضوان شافو، الجنوب الشرقي الجزائري في العهد الاستعماري المرجع السابق، ص214.

2 دوني بيلي، المصدر السابق، ص 62.

3 المصدر نفسه، ص 45.

4 رضوان شافو، المرجع نفسه، ص 215.

5 نفسه، ص 216.

المبحث الرابع: السياسة الدينية والتعليمية

السياسة الدينية:

ارتبط تنصير المناطق الصحراوية بقدم الكاردينال شارل لا فيجيري " Ch. Lavigerie"¹ إلى الجزائر سنة 1860م قادما من سوريا ، و قد استغرب منذ البداية كيف لفرنسا أن تظل في الجزائر أربعون سنة دون أن تنجح في تنصير المسلمين و من هنا انطلق في تحقيق مشروعه التنصيري الاستعماري² حيث جاء في قوله : " يجب أن نجعل من الأراضي الجزائرية مهذا للأمة الفرنسية المسيحية ، و ينبغي أن ننشر حولنا الأضواء الحقيقية للحضارة المستمدة من الإنجيل و أن نحملها إلى الصحراء و إلى العالم الإفريقي الذي يعيش حالة بربرية ، و نعمل على ربط وسط إفريقيا بشمالها"³ ، حيث استهل لا فيجيري مشروعه بتأسيس مؤسسة القديس أوغسطين لبعث الدين المسيحي سنة 1870م ثم ظهرت فكرة انشاء جمعية الآباء البيض للصحراء و التي كان هدفها نشر المسيحية من جهة و تسهيل المهمة على فرنسا للاستلاء على المناطق الصحراوية من جهة أخرى ، حيث تأسست أول مركزية لجمعية الآباء الصحراويين سنة 1873م بقيت إلى غاية 1881م و التي كان مقرها بمنطقة ورقلة .⁴ اطلق عليهم اسم الآباء البيض نسبة الى لباسهم الأبيض الذي كان موازيا للباس العربي الإسلامي الجزائري متكونا من جبة بيضاء مصنوعة من الصوف يوضع فوقها برنوس أبيض و شاشية حمراء و تحاط على رقابهم مسبحة وردية بها صليب أبيض و أسود .⁵ و نجد فرع آخر لهذه الفرقة و هي جمعية إخوان الصحراء التي تأسست سنة 1891م حيث يدعي مؤسسوها أن مهامهم أعضاءها هو محاربة الرقيق في إفريقيا ، لكن الامر ليس كذلك انما تسعى لحماية المبشرين الذين هلك منهم الكثير في الجنوب ، نجد كذلك فرقة أخرى و هي فرقة الأخوات البيض التي تأسست سنة 1869م

1 شارل أنطوان مارسيل لا فيجيري: من مواليد 1825 بمدينة وير درس بمعهد الدعاية التبشيرية سان لويس دوقوزاني، تحصل على شهادة ليسانس عام 1847 متخصصا في علم اللاهوت.

2 رضوان شافو، الجنوب الشرقي الجزائري في العهد الاستعماري ... المرجع السابق، ص241.

3 خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1870، دار حلب، سوريا، ص 11.

4 رضوان شافو، المرجع نفسه، ص142.

5 مزيان سعدي، النشاط التبشيري للكاردينال لا فيجيري 1867-1892، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص76.

أما عن أول تواجد لهن في الصحراء الشرقية كان في سنة 1870م ممثلا في ثلاث أخوات بالأغواط اللواتي لم تستطعن البقاء بسبب قسوة المناخ و الرفض من قبل السكان ، و قد أنشأن في ورقلة مشاريع لجلب النساء و التغلغل داخل المجتمع الصحراوي ، ففي سنة 1932م أنشأن ورشة تأوي 200 تلميذة لنسيج الزرابي و البرانس و المخدات من الصوف و الوبر . حيث لم يترك المنصرون وسيلة الا واستغلوها حيث تأرجحت أساليبهم بين الين و القسوة والإغراء و الشدة.¹

مارست فئة الأخوات البيض نشاطها في الجنوب الشرقي عن طريق البرامج التعليمية و التكنولوجيا و الفلاحة، و قد ساعدهم النظام التعليمي المتبع من طرف الحكومة الفرنسية المتمثل في فصل تعليم البنات عن الذكور و الذي لاقى استحسان كبير من طرف الأسر الجزائرية، بالنسبة للبرامج التعليمية التي كانت تقدم للبنات في هذه المراكز كانت لا تتعدى المبادئ الأولية في الحساب و القراءة و الخط.²

أما فيما يخص الكنائس فقد تم إقامتها بالجنوب الشرقي من طرف المنصرون و التي كان أهمها كنيسة برونو التي أنشأت سنة 1854م بمنطقة بسكرة بالحديقة العمومية على شكل مستطيل تحمل اسم أحد الرهبان و التي عملت على نشر المسيحية الى أبعد حدودها و من الكنائس الأخرى التي كانت في بسكرة الكنيسة التي كانت موجودة بحي المسيد و الأخرى كانت بحي باب الضرب.³

أما عن الوسائل و الأساليب التي اعتمدت عليها في سياستها التنصيرية:

• المساعدات الاجتماعية:

كان الشعب الجزائري يمر بظروف اجتماعية صعبة من فقر و جوع و مرض و غيرها فقام المنصرون الاستعماريون باستغلال هذه الظروف لصالحهم لتمير عملهم التنصيري في هيئة اعانات و مساعدات، عن طريق المناسبات الدينية الخاصة بالفرنسيين مثل أعياد الميلاد

¹ رضوان شافو، الجنوب الشرقي الجزائري في العهد الاستعماري ...، المرجع السابق، ص244.

² عمار سوداني، "النشاط التنصيري بالصحراء"، مجلة الطالب، ع 1، قسم التاريخ، جامعة الوادي، فيفري 2013م، ص104.

³ أحمد خمار، تحفة الخليل في نبذة من تاريخ بسكرة النخيل، إصدارات الجمعية الخلدونية للأبحاث و الدراسات التاريخية، بسكرة، 2008، ص87.

حيث يقدمون الهدايا والمساعدات بسخاء وكمثال على ذلك ما قامت به الأخوات البيض بإنجازهن لبئر لشرب المياه وخزان طاقته 20م.¹

● **التعليم:** عمل الفرنسيون على زرع الفكر النصراني في الأطفال الصغار قبل بلوغهم

حتى يسهل التحكم فيهم عن طريق المدارس والكليات التي تشرف عليهم الإدارات الاستعمارية، بالإضافة الى تأليف الكتب والمجلات والنوادي الثقافية والترفيهية. ففي احتفالية من الاحتفالات الدينية المسيحية بمنطقة ورقلة عُقدت الصلبان في رقاب أبناء وبنات المسلمين من طرف القائمين على الكنيسة بالمدارس الحكومية. وجعلهم ينتقلون أمام أنظار عامة الناس مما جعل البعض منهم يتأسف من الحادثة دون اتخاذ أي موقف اتجاه هذه الظاهرة.

● **إقامة المصحات والمستشفيات:** استغل المنصرون العمل الطبي لتحقيق غاياتهم الدنيئة

وذلك بالتقرب من المرضى خاصة أنهم في حالة ضعف لا يستطيعون إدراك سياستهم الخبيثة، ودليل على ذلك قولهم: "حيث تجد البشر تجد الآلام، حيث يكون الألم تكون الحاجة إلى الطبيب، وهناك تكون الفرصة للتنصير" حيث قدم الآباء البيض بمنطقة ورقلة سنة 1895م حوالي 12000 علاج للأهالي².

السياسة التعليمية:

شهدت منطقة الجنوب الشرقي من الصحراء الجزائرية منظومة تعليمية استعمارية تمثلت في مختلف الأطوار التعليمية الابتدائي المتوسط والثانوي خاصة في نواحي ورقلة وادي سوف والأغواط هذه المناطق شهدت انتشارا واسعا للثقافة الفرنسية التي بدورها كانت تهدف إلى طمس الهوية الوطنية والقضاء على مقومات وتعاليم الدين الإسلامي بصفة خاصة والقضاء نهائيا على مكونات المجتمع الجزائري بصفة عامة.³

¹ دوني بيلي، المصدر السابق، ص 68.

² رضوان شافو، الجنوب الشرقي الجزائري في العهد الاستعماري ...، المرجع السابق، ص245.

³ مصطفى بن حادة، "السياسة التعليمية الفرنسية في الجنوب الشرقي للجزائر 1882-1914"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج 6، ع 2، جامعة ابن خلدون، تيارت، جوان 2023م، ص395.

● **السياسة التعليمية بوادي سوف:** كان الهدف من التعليم الفرنسي للجزائريين هو استقطاب أكبر عدد ممكن من أبناء الجزائر لإعدادهم وتجهيزهم للوظائف والمناصب التي تخدم الإدارة الاستعمارية.

فتحت أول مدرسة بمنطقة وادي سوف في بداية الموسم الدراسي 1886م والتي سُميت بمدرسة الأهالي،¹ وقد كان عدد المتدربين يتزايد موسما بعد الآخر، حيث بلغ عددهم في الموسم الأول ثمانية متدربين كل آبائهم يعملون بالإدارة الفرنسية، بعدها في الموسم الدراسي لسنة 1889-1890م أي بعد أربعة مواسم دراسية ارتفع عددهم إلى اثني عشرة تلميذا أما في سنة 1900 وصل عددهم إلى 278 تلميذا. هذا فيما يخص مدرسة الأهالي حيث تم إنشاء مدرسة أخرى بعد ثمانية أعوام من إنشاء المدرسة الأولى أي في سنة 1893م والتي كانت بقرية كوينين، وأنشأت مدرسة ثالثة بقمار سنة 1903م وقد احتوت على ثلاث أقسام وكانت هي آخر مدرسة تنشئها الإدارة الاستعمارية، لم تظهر المكتبات الفرنسية في منطقة وادي سوف إلا بعد أن تم الاستلاء على المنطقة نهائيا في سنة 1882م وكان فيها العديد من الكتب التي تتعلق بالتاريخ الثقافي والاجتماعي والسياسي للجزائر.²

● **السياسة التعليمية في منطقة ورقلة:** عندما زارت لجنة الشيوخ الفرنسية بالجزائر منطقة ورقلة برئاسة "جول فيري" واستمعت إلى شكاوى الجزائريين الذين طالبوا بالحاح كبير على تعليم أبنائهم لغتهم العربية ودينهم الإسلامي وبهذا عملت السلطة الفرنسية على تنفيذ التوصيات، حيث خصصت أموال طائلة لبناء مدارس ابتدائية في الجزائر وشهدت ورقلة أول تجربة بناء مدرسة عمومية فيها سنة 1891م، حيث حاول عسكري فرنسي بناء مدرسة و سكن للمعلم في الجهة الجنوبية لقصبة ورقلة ، أما البداية الفعلية لتأسيس أول مدرسة رسمية كان سنة 1898م تحت إشراف مدرستين خاصتين و سجل فيها حوالي 50 تلميذا.³

¹ سعد الله أبو قاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج3، ط1، 1998م، ص 380.

² مصطفى بن حادة، المرجع نفسه، ص402.

³ دوني بيلي، المصدر السابق، ص 29.

لجأ الفرنسيون سنة 1900م إلى إنشاء مدارس خاصة يعمل على تأطيرها الآباء البيض، حيث أنشأت مدرسة خاصة بورقلة سجل فيها 30 تلميذا، وهذا ما يجعلنا نلاحظ أن السلطة الإستعمارية بدل أن تنتشر التعليم بين الجزائريين كما طالب به الأهالي تركته لعبة بين الآباء البيض لإنجاح مشروعهم التنصيري والهدف الأساسي من إنشاء هذه المدارس هو القضاء على اللغة العربية وفرنسة الجزائريين وإبقائهم على جهلهم، وهذا ما صرح به الفرنسيون: "إن الهدف كان محو التعصب الديني والكرهية عن طريق التعليم بالفرنسية والحضارة والتقدم وذلك لا يكون إلا بإحداث لغة مشتركة في الجيل الصاعد وتقريبه من الفرنسيين بتبنيه نفس الأفكار و المصالح " 1.

أصبحت المدرسة الخاصة بالآباء البيض منذ سنة 1903م تعطي دروسا لمجموعة من البالغين بمعدل خمس مرات في الأسبوع، وكان عدد الطلبة ما بين 40 إلى 50 تلميذا².

● **السياسة التعليمية في الأغواط:** منذ أن سيطرت فرنسا على الأغواط في 4 ديسمبر 1852م قامت الإدارة الاستعمارية بملاحقة وتصفية الكثير من العلماء والشخصيات البارزة وكمثال على ذلك اغتيال قاضي الأغواط من طرف النقيب دي براي "Dubrail" والذي كان قد افتخر بفعلة الشنيعة في مذكراته.

وحظيت الأغواط بأول مدرسة سنة 1856م والتي تعد أول مدرسة يتم انشاءها في الجنوب الجزائري بعدها تم إنشاء مدرسة خاصة بالأخوات البيض، أما فيما يخص الأنماط التعليمية التبشيرية التي أسسها المبشرون في هذه المنطقة كانت تدور حول مبادئ الحساب والتاريخ والجغرافيا واللغة العربية والغناء والموسيقى³.

كانت المدارس الفرنسية بالأغواط تابعة إداريا لوزارة الحربية حيث كانت تخضع للتفتيش من طرف قائد القطاع العسكري أو قائد المكتب العربي⁴.

1 مصطفى بن حادة، المرجع السابق، ص 401.

2 دوني بيلي، المصدر نفسه، ص 42.

3 مصطفى بن حادة، المرجع نفسه، ص 402.

4 مصطفى بن حادة، المرجع السابق، ص 403.

بعد ما عرضناه في هذا الفصل نلاحظ أن الإدارة الاستعمارية الفرنسية اتبعت جملة من الأساليب والسياسات المختلفة التي كانت تحمل في طياتها هدف واحد وهو إخضاع إقليم الجنوب الشرقي الجزائري إخضاعا كاملا وقد شملت هذه السياسة تقريبا جميع الجوانب: الاجتماعية، الاقتصادية، العسكرية، الدينية والتعليمية.

الفصل الثالث

أبرز المقاومات الشعبية في الجنوب الشرقي

المبحث الأول: مقاومة الشريف بن عبد الله

المبحث الثاني: مقاومة ناصر بن شهرة

المبحث الثالث: ثورة الشريف بوشوشة

بعد أن تمادت السلطات الإستعمارية في سياستها التعسفية في الجزائر بصفة عامة والصحراء الشرقية بصفة خاصة نتج عنها ظهور مقاومات شعبية قادها مجموعة من المناضلين، والتي كان لها صدى وأثر بارز على الاستعمار الفرنسي وكانت أيضا محفز لظهور مقاومات وثورات أخرى يعبر فيها الشعب الجزائري عن رفضهم الاستعمار بقيادة مجاهدين أمثال الشريف محمد بن عبد الله، ناصر بن شهرة، والشريف بوشوشة وغيرهم، وهذا ما سنتطرق إليه بالتفصيل.

المبحث الأول: مقاومة الشريف محمد بن عبد الله

المطلب الأول: شخصية محمد بن عبد الله

هو إبراهيم بن أبي فارس عند البعض، والبعض الآخر هو إبراهيم بن عبد الله، الملقب بمحمد بن عبد الله، حامل لقب المهدي وصاحب الساعة¹. ينتمي إلى أولاد سيدي أحمد بن يوسف، وهي فرقة من قبيلة الغسول التي تتواجد شمال تلمسان، اشتغل معلما للقرآن في زاوية سيدي يعقوب المنتمية إلى أولاد سيدي الشيخ. لقد اختلفت الروايات حول أصله فهناك من يرجعه إلى أولاد سيدي الشيخ الذي يعود نسبهم كما هو معروف لأبي بكر الصديق -رضي الله عنه-² ومركزهم زاوية سيدي عبد القادر بن محمد الملقب بسيدي الشيخ الأبيض³، وهناك من يرجعه إلى المرزوق ببلدة العوينة بنفزاوة بتونس، حيث لم تذكر هذه المصادر أي معلومة حول تاريخ مولده سوى أنه ولد خلال القرن 18م من دون تحديد السنة أو الشهر واليوم، ودون ذكر اسم والدته أو زوجته وأولاده⁴.

¹ عيسى بوقرين، المقاومة الشعبية في الجنوب الشرقي الجزائري 1850م-1875م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، أبو قاسم سعد الله، 2019م، ص 77.

² عبد القادر المرجاني، المرجع السابق، ص 327.

³ سيدي الشيخ الأبيض 1533-1616: هو العالم والوالي الصالح عبد القادر بن محمد بن سلمان بن بوسماحة تعود أصوله إلى أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- ولد بقصر العربوات بين البيض والأبيض سيدي الشيخ، دفن بالأبيض التي سميت منذ ذلك بالأبيض سيدي الشيخ نسبة إليه. ينظر إبراهيم مياشي، الاحتلال الفرنسي للصحراء...، المرجع السابق، ص 210، 211.

⁴ رضوان شافو، مقاومة منطقة تفرت...، المرجع السابق، ص 31.

حيث ظهر محمد بن عبد الله على مسرح الأحداث في أواخر سنة 1841م، استغله آغا الغسول مولاي الشيخ علي¹ عند تزعمه المعارضة ضد الأمير عبد القادر، وقدمه للناس على أنه من بيت شريف، له قيمة ونفوذ كبير على القبائل الغربية، حيث تم الاتفاق على محاربة الأمير بين كل من مولاي الشيخ علي ومحمد بن عبد الله، رفقة مصطفى بن إسماعيل زعيم بني عامر وأيضا حاكم وهران العقيد تمبور بتاريخ 25 ديسمبر 1841م، وقد تحمس محمد بن عبد الله للعمل تحت سلطة الفرنسيين خاصة عندما عينوه خليفة على القبائل الغربية بالمنطقة، وفي 14 جانفي 1842م عندما احتل الجنرال بيجو تلمسان عينه خليفة عليها².

المطلب الثاني: أسباب مقاومة الشريف عبد الله

- إعادة اللحمة وجمع كلمة الأمة خاصة بعد الصراعات الداخلية الطاحنة التي شهدتها المنطقة داخل اغلب واحاتها خاصة بسكرة ووادي ريغ، ففي بسكرة كان الصراع محتدم بين عائلتي بن قانة وبوعكاز، وقد استقوت عائلة بن قانة بالفرنسيين فدخلت في طاعتهم وخدمتهم، أما بوعكاز فقد اتخذت جانب الأمير عبد القادر قبل الانقلاب عليه فيما بعد، أما منطقة وادي ريغ فقد طبعها الصراع والتنافس على الحكم بين عبد الرحمان الجلابي الداخل في طاعة الفرنسيين وابن عمه سلمان الذي انضم فيما بعد لمقاومة الشريف³.
- التصدي للتوسع الفرنسي في منطقة الصحراء الشرقية الجزائرية، الذي يحاول بسط سيطرته على كامل الصحراء الجزائرية والذي يأتي ضمن البرنامج التوسعي الفرنسي بمحاصرة تونس من ناحية الجنوب الشرقي وذلك من أجل تحقيق الهدف

¹ كان مولاي الشيخ علي يعمل تحت إمرة البوحميدي خليفة الأمير، وقد كان ناقما على هذه السلطة التي لم يتمتع من خلالها على أي إمتياز فقرر التمرد عليها وتعاونه مع قوات الإستعمار. ينظر عيسى بوقرين، المقاومة الشعبية في...، المرجع السابق، ص 79.

² نفسه، ص 79.

³ محمد بن محمذن، "الرحلات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء الكبرى الدوافع والعراقيل"، مجلة العلوم الإنسانية، ع 20، جامعة منتوري، قسنطينة، ديسمبر 2003م، ص 163.

الفرنسي المتمثل في السيطرة على منطقة الشمال الإفريقي وذلك من أجل¹ قطع الطريق على الدول الأوروبية التي تنافس فرنسا في التوغل داخل الصحراء لتكوين إمبراطوريات كبرى خاصة بريطانيا².

- الهزائم المذلة التي مني بها الفرنسيون على يد الثورات الشعبية كالأمير عبد القادر، أحمد باي، ومقاومة الزعاطشة... الخ، ويكبدهم كثير من الصعوبات في إخضاعها أزال عن فرنسا صورة العدو الذي لا يقهر، ولذلك فقد رأى الشريف محمد بن عبد الله أن لديه فرصة للانتصار على الفرنسيين³.
- التصدي لمشروع فرنسا القاضي بتقسيم وتفتيت المجتمع الجزائري من خلال استمالة بعض القبائل والأسر كأسرة بن قانة في بسكرة وقبيلة أولاد مولات في سطيل، لتضرب بهم الجزائريين تطبيقاً للقول المأثور "فرق تسد".
- رفض المجتمع الجزائري دخول عناصر دخيلة عليه مثل الفرنسيين الذين جاؤوا للاستيطان في الجزائر، خاصة وأن المجتمعين من ثقافتين مختلفتين من حيث القيم والعادات والتقاليد والدين.
- محاولة التكفير عن ذنبه عند مساندته للفرنسيين ضد أبناء جلدته من الجزائريين، فقد شارك الشريف محمد بن عبد الله في معارك احتلال تلمسان ومعركة ممر تازة ضد القوات المغربية⁴.
- الخصوصية التي تميزت بها ثقافة منطقة الجنوب الشرقي الجزائري، والتي جعلت الاهتمام الفرنسي بها يتزايد، ومن أمثلة ذلك ما قام به الجنرال ديفوا في مدينة تفرت الذي سرق وجمع من المخطوطات الكثير ليتمكن من دراسة المنطقة وسكانها⁵.

¹ رضوان شافو، مقاومة منطقة تفرت...، المرجع السابق، ص 35، 36.

² إبراهيم مياسي، توسع الإستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي...، المرجع السابق، ص 77.

³ إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص 230.

⁴ سعود دحدي، "ثورة الشريف محمد بن عبد الله في الصحراء الجزائرية ومواجهة التحدي الاستعماري الفرنسي

1842، 1895"، مجلة الباحث، ع 1، المركز الجامعي الوادي، يونيو 2010م، ص 132.

⁵ رضوان شافو، مقاومة منطقة تفرت...، المرجع السابق، ص 38.

المطلب الثالث: مراحل مقاومة الشريف محمد بن عبد الله

1. مرحلة الإعداد والتحضير للمقاومة

بعد أن قام الشريف محمد بن عبد الله بمساعدة السنوسي وأعوانه في التحضير للمقاومة في مدينة ورقلة خاصة وأن لالة الزهرة لم تتردد في إخبار الناس بأنه مبعوث من عند الله ليكون سلطانا على ورقلة ويحررها من الكافرين، بالإضافة إلى العمل الجبار الذي بذله زعيم المخادمة عبد الله بن خالد المخادمي في دفع الناس للاعتراف بقيادة الشريف محمد بن عبد الله الأمر الذي دفع الورقليين بضرورة التمسك به ومبايعته وذلك في جويلية 1851م¹.

وحسب عبد الحميد زوزو فإن مقاومة الشريف محمد بن عبد الله قد ارتكزت على خطة مكونة من أربعة نقاط المتمثلة في مايلي:

- توطيد الشريف محمد بن عبد الله علاقاته مع منطقتي الزيبان ووادي سوف حيث جعل منهما قاعدة خلفية لثورته تضمن له سهولة الانسحاب نحو الجنوب التونسي عندما تضيق فرنسا الخناق على مقاومته، وذلك بفضل القرب الجغرافي للمنطقتين من الجريد التونسي وأيضا جعلها موردا للإمدادات الغذائية والحربية لثورته.
- سعي الشريف محمد بن عبد الله إلى إضعاف سلطنة بني جلاب في وادي ريغ من خلال تغذيته للصراعات القائمة داخل الأسرة الحاكمة، والتحديد بين سلمان وابن عمه عبد الرحمان الجلابي، وذلك ليسهل على الشريف بن عبد الله السيطرة على تقرت فيما بعد لما للمنطقة من أهمية استراتيجية كبرى، فهي تربط بين ورقلة والزيبان ووادي سوف.
- سعي الشريف إلى كسب ود شيوخ ورؤساء القبائل القوية لتدعيم مقاومته وتوسيع رقعتها جغرافيا، من خلال الاستفادة مما لديهم من نفوذ وقوة من السلاح والرجال.

¹ يحي بو عزيز، كفاح الجزائر...، المرجع السابق، ص102،105.

- دعاية الشريف محمد بن عبد الله لنشر مبادئ مقاومته وإظهارها دائما على شكل أنها حركة جهاد فعلي من أجل طرد المستعمر الفرنسي من الجزائر، كما لم يتردد في نشر أن ثورته مدعومة من قبل الحركة السنوسية والدولة العثمانية¹.

2. مرحلة قوة ثورة الشريف محمد بن عبد الله

وبعد أن استتب الأمر لشريف محمد بن عبد الله في ورقلة أعلن الجهاد في ورقلة ضد الفرنسيين والمتعاونين معهم، فانضمت إليه قبيلتي الشعابنة والمخادمة وعرش بني ثور ومنهم استطاع أن يؤلف جيش من 100 فارس و 300 جندي، حيث كان أول هجوم قام به الشريف على قبيلة أولاد مولات في سطيل الموالية للإستعمار الفرنسي في 21 سبتمبر 1851م، فقتل 11 فارسا و800 رأس إبل، ونتيجة لذلك التحق به أولاد سيدي سليمان و أولاد السايح²، وفي طريقه إلى ورقلة هجم على نقوصة التي استولى عليها مرة أخرى أبو حفص ونصب نفسه سلطانا على ورقلة، ولكن الشريف محمد بن عبد الله تمكن من السيطرة على نقوصة واعتقال وسجن أبو حفص بن بابية أفراد عائلته ومصادرة أملاكهم³.

وعندما عاد الشريف محمد بن عبد الله إلى ورقلة بدأ ببناء قصره بمنطقة الرويسات، لتكون مقرا لإدارة حكمه وقام بترتيب الجنود وارسال الوفود لحشد الدعم له إلا أن حمزة ولد سيدي الشيخ لم يستجب له⁴.

وبعد ذلك بدأ التحضير للحملة على تقرت فانطلقت في بداية شهر أكتوبر 1851م برفقة جيش قوامه 100 فارس و900 مشاة معظمهم من الشعابنة والمخادمة وبني ثور وسعيد عتبة، حيث واجهوا جيش سلطان تقرت البالغ تعداده 600 فارس و1500 من المشاة⁵، إلا أن الشريف محمد بن عبد الله انهزم في هذا الهجوم وتكبد خسارة 30 قتيل و8 جرحى⁶.

¹ عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 63، 67.

² سعود دحدي، المرجع السابق، ص 138.

³ يحي بو عزيز، كفاح الجزائر...، المرجع السابق، ص 106.

⁴ سعد الله أبو قاسم، الحركة الوطنية...، ج 01، ص 359.

⁵ سعود دحدي، المرجع نفسه، ص 138.

⁶ يحي بو عزيز، المرجع نفسه، ص 106.

وبعد فشله في الإستيلاء على تقرت تحالف الشريف بن عبد الله مع ناصر بن شهرة قائد قبيلة الأرباع وخرج في ديسمبر 1851م على رأس جيش مكون من قبائل سعيد عتبة وشعابنة والمنيعية وهاجم أولاد بن سالم في أولاد نايل وانتصر عليهم، ومن هنا بدأ يفكر في إخضاع القرى المزابية لسلطته، ولكنهم رفضوا الخضوع لطاعته وقالوا له: "إذا أردت القتال فاتجه للفرنسيين مباشرة أعداء البلاد"¹.

وبعد كل هذه الإنتصارات التي حققها الشريف أدرك الجيش الفرنسي خطورة مقاومته ضدهم، فجنّد الجنرال راندون ثلاث فرق الأولى من وهران تمركزت بالجلفة، والثانية من معسكر تمركزت بالبيض، والثالثة من المدينة كلفت بحماية بسكرة وقسنطينة والواحات الشرقية.

وفي 04 أكتوبر 1852م خاض الشريف معركة كبيرة ضد الفرنسيين في منطقة الرق قرب غدير مزي قرب الأغواط، وانتصر عليهم وقتل 200 رجل من الفرنسيين وأخذ منهم 20 ألف رأس غنم و2000 جمل ودخل الأغواط، إلا أن القوات الفرنسية شنت هجوم وحشيا على المدينة واستولوا عليها، حيث جرح الشريف في هذا الهجوم مما اضطره الانسحاب من الأغواط لورقلة بعد قتله ضابطين أحدهم الجنرال بوسكران².

وفي 14 سبتمبر 1853م قام لشريف بمعية بن ناصر بمحاولة غزو الأغواط مرة أخرى، حيث خاضا في طريقهم إليها معارك عديدة في متليلي وتاجرونة، قابلتها قوة فرنسية كبيرة أسندت قيادتها إلى سي حمزة ولد سيدي الشيخ المتحالف مع الفرنسيين ضد أخيه سي النعيمي، حيث استطاع سي حمزة إخضاع قصر متليلي ووادي ميزاب ومنطقة ورقلة تحت سيطرة الفرنسيين في 27 جانفي 1854م بعد تسليمها إلى الكلونيل دوبران من قبل سي حمزة، ومن هنا انسحب الشريف محمد بن عبد الله لتونس³ وقد بقي إلى غاية 1858م، حيث عاد إلى الجزائر واتجه نحو منطقة الأغواط في محاولة منه تحريرها ولكنه فشل

¹ يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب (دراسة اجتماعية-اقتصادية-سياسية)، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م، ص 69.

² يحي بوعزيز، كفاح الجزائر...، المرجع السابق، ص 107.

³ سعود دحدي، المرجع السابق، ص 141.

وطرد من قبل حاكم الأغواط الباشا سي بوبكر بن سي حمزة حتى تمكن من محاصرته في العرق الغربي بين بوسروال وقرن الحاج (نواحي ورقلة)، واعتقله في أواخر 1861م وتم تسليمه للفرنسيين وفرض عليه الإقامة الجبرية في سجن عسكري بالساحة ديبرفون Perrigon في جزيرة كورسيكا¹.

3. مرحلة الضعف:

بعد خروج الشريف محمد بن عبد الله من الإقامة الجبرية بفرنسا سنة 1864م ظهر سريعا على مسرح الاحداث من جديد، حيث قام بالإشتراك مع قبيلة أولاد خليفة في 10 سبتمبر 1964م بمهاجمة واحة ليانة في الزاب الشرقي وتمكنوا من جرح شيخها وقتلوا رجلين منها، ومن هناك توجهوا إلى منطقة نفطة (تونس) حيث التقوا بالثوار أولاد سيدي عبيد وقادوهم في 20 سبتمبر 1964م إلى اقتحام نقرين².

وفي نهاية شهر سبتمبر 1964م خاض الشريف محمد بن عبد الله معركة الركيز ضد القوات الفرنسية، وانتصر عليها انتصارا ساحقا وكبدها خسائر كبيرة فلم ينجوا من الجيش الفرنسي إلا أفراد قلائل أنقذتهم نجات عسكرية سريعة من بلدة الشريعة³. وبعد إندلاع ثورة المقراني سنة 1871م انضم إليها، ولم يلبث الشريف كثيرا بمنطقة نفطة ونفزاوة في 12 أكتوبر 1871م متجها نحو واد بودوخان ثم منطقة الكاف التونسية بعد أن ضعف نفوذه وقل أتباعه⁴.

بالرغم من أن هذه الفترة اتسمت بالضعف إلا أنها كانت طويلة نسبيا، وكانت تنقطعها وتتخللها فترات كر على العدو الفرنسي وفر نحو تونس، وبهذا انتهت مقاومة الشريف محمد بن عبد الله في الجنوب الشرقي في 1871م.

إن وقوف بعض الجزائريين المتعاونين مع السلطات الفرنسية ضد الشريف محمد بن عبد الله أمثال سي حمزة وابنه سي بوبكر من أولاد سيدي الشيخ كان من أهم الأسباب التي أدت إلى فشل هذه المقاومة، بالإضافة إلى بعض الأخطاء التكتيكية التي ارتكبها

¹ إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص 122.

² سعود دحدي، المرجع السابق، ص 143.

³ يحي بوعزيز، كفاح الجزائر من...، المرجع السابق، ص 111.

⁴ سعود دحدي، المرجع نفسه، ص 143.

خلال معركتي احتلال الأغواط، فجل المقاتلين تحت لوائه كانوا متطوعين لا خبرة لهم بالسلاح ما عدا بعض من مقاتلي جيش بني جلاب.

لقد نتج عن هذه مقاومة الشريف محمد بن عبد الله عدة نتائج إيجابية وسلبية أيضا نذكر منها:

- إن مقاومة الشريف محمد بن عبد الله في الجنوب الشرقي الجزائري التي دامت من 1851م إلى 1871م قامت بتأخير التوسع الفرنسي ليس فقط في منطقة الصحراء الشرقية بل ضمت الصحراء الجزائرية عموما ولمدة طويلة من الزمن حيث دامت هذه المقاومة قرابة 28 سنة.¹
- إنهاك مقاومة الشريف للسلطات الفرنسية عسكريا وسياسيا بسبب طول أمد المقاومة وقوتها، الأمر الذي دفع بفرنسا استعمال كافة الطرق والأساليب السياسية والإقتصادية والإجتماعية من أجل إجهاض هذه المقاومة، ولم تتمكن من إخمادها إلا بعد جهد كبير جدا.²
- تضرر السكان إقتصاديا بسبب قطع الفرنسيين للنخيل الذي يعد مصدر رزق رئيسي لهم، وليس في الجنوب الشرقي الجزائري فقط بل في الصحراء الجزائرية ككل، ففي كل مرة يحاصر الفرنسيون واحة إلا ويقومون بقطع نخيلها وحرقه تنكيلا بالسكان.³
- فرض الضرائب والغرامات المالية الباهظة التي أثقلت كاهل سكان المنطقة، وذلك بسبب خروجهم عن طاعة الفرنسيين مرة ثانية وتعويض النفقات الباهظة التي صرفتها فرنسا لإخماد مقاومة الشريف محمد بن عبد الله، وقد قدرت الغرامة التي فرضت على سكان منطقة تقرت بعد إحتلالها بحوالي 2000 فرنك فرنسي.⁴

¹ سعود دحدي، المرجع السابق، ص 137، 144.

² يحي بوعزيز، كفاح الجزائر من...، المرجع السابق، ص 110، 112.

³ إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص 92.

⁴ سعود دحدي، المرجع نفسه، ص 141.

المبحث الثاني: مقاومة ابن ناصر بن شهرة

المطلب الأول: شخصية ابن ناصر بن شهرة

ولد ابن ناصر بن شهرة بن فرحات سنة 1804م بضواحي الأغواط، ينحدر من فرقة أولاد سيدي عيسى من قبيلة معامرة والحجاج، وهو ذو نسب شريف ينحدر من الساقية الحمراء¹، ترعرع وسط أسرة تتفاخر بالشهامة والبطولة والفروسية التي توارثت المجد والقيادة فنشأ فارساً شجاعاً وقد اشتهر جده فرحات بالشجاعة والكرم وهذا ما أهله ليكون قائداً على قبائل الأرباع كلها²، وقد ورث حفيده ابن ناصر أيضاً هذه السيادة وكذلك الشخصية القوية والمرموقة، وقد كان حافظاً لكتاب الله على عادة أهله وتعلم مبادئ الفقه على يد مشايخ الطريقة القادرية وكان أبرزهم الشيخ أحمد الشاوي بالأغواط ولهذا اكتسب قدرات كبيرة جعلت منه قائداً وفارساً وارتقى إلى عرش السيادة بدوره على قبائل الأرباع سنة 1846م³.

وكان ابن ناصر بن شهرة مطمح مصاهرة من قبل قادة ومشايخ المنطقة وخاصة الذين عرفوه عن قرب وذلك بسبب شجاعته وقوته ونسبه وكان من بينهم أحمد بن سالم شيخ الأغواط⁴، الذي زوجه ابنته وذلك من أجل تقوية نفوذه ضد أعدائه المنافسين له على سلطان الحكم ولكن هذا الزواج لم يدم بسبب خلافه مع أحمد بن سالم ورفضه الخضوع للسلطات الفرنسية، فطلب من زوجته أن ترحل معه إلى أعماق الصحراء للجهاد فلما رفضت طلقها⁵. ثم تزوج مرة ثانية بالياقوت بنت محمد عبد الله شريف ورقلة بعد أن تحالف معه على الجهاد منذ سنة 1851م وبعد وفاتها تزوج مرة أخرى بالمرابطة "نوة" أخت السيد مولاي عبد القادر الإدريسي من أولاد سيدي الشيخ. وكان من شدة بسالته

¹ يوسف بن حيدة، "الامتداد الجغرافي والبعد الصوفي في مقاومة ابن ناصر بن شهرة 1851-1875"، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، مج1، ع1، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، جانفي 2019، ص29.

² أحمد قصبية، "ابن ناصر بن شهرة أحد أبطال ثورة 1871"، مجلة الأصالة، ع6، جانفي 1972، ص56.

³ عيسى بوقرين، "ابن ناصر بن شهرة رمز المقاومة الشعبية في الجنوب الشرقي الجزائري 1850-1875"، مجلة الباحث، ع17، ص217.

⁴ عيسى بوقرين، المقاومة الشعبية في الجنوب...، المرجع السابق، ص88.

⁵ أحمد قصبية، المرجع نفسه، ص57.

وشجاعته تضرب به الأمثال حيث قال أحد الثوار فيه قولاً مشهوراً: "في الخيل عودي وفي الرجال ابن ناصر بن شهرة"¹

المطلب الثاني: بداية مقاومته

بدأ ابن ناصر بن شهرة مشواره الجهادي ضد القواة الفرنسية منذ أن استلم قيادة الأرباع سنة 1846 والذي كان بدوره يرفض أي التعامل أو الاتفاق معهم وذلك بالرغم من العروض المغرية التي يقدمها له الجنرال "لادميرول Ladmirault" القائد العام لمنطقة المدينة مقابل خضوعه للفرنسيين، وكان آخر هذه العروض ذلك الذي حمله الملازم "كاروس Carrus"² في 05 سبتمبر 1851م وكانت لهجة المبعوث كاروس و جنوده نبرة حادة على غير العادة تحمل في طياتها تهديدات في حال رفض بن شهرة لهذا العرض ، أراد هذا الأخير أن يعلن حقيقة شعوره تجاه الاستعمار ، فخطط هو و أخوه أبو بكر كميناً لهذه البعثة ليبين للعدو الفرنسي امكانياته القتالية و شعوره الحقيقي اتجاه المستعمر الفرنسي و أعلن بذلك قيام انتفاضته³. فقام بتجريدهم من أسلحتهم ونزع عنهم ثيابهم الا ما يستر عورتهم ثم أطلق سراحهم وأمرهم بالعودة من حيث أتوا وأن يبلغوا من أرسلهم بما يلي: "ابن ناصر بن شهرة سيلتحق بمن يمثل الدين والوطن" وكان يعني لقوله هذا الجهاد من أجل الوطن والذي كان يمثله آنذاك شريف ورقلة محمد بن عبد الله، وكانت هذه أول تجربة له في الكفاح الثوري وكان لهذه التجربة دور كبير في مواصلة العمل الكفاحي مستفيداً من التكوين العسكري الذي تعلمه في مدرسة الأمير عبد القادر الحربية والوطنية⁴.

بعد هذه الأحداث انسحب بن ناصر بن شهرة جنوباً أما فيما يخص السلطات الفرنسية فهي لم تمر مرور الكرام على ما ألحق ببعثتها فأرادوا الانتقام منه على ما فعله، فقامت بتوجيه نداء الى جميع الوحدات الفرنسية الموجودة في تلك المنطقة باعتراض قافلته ومحاولة القبض عليه.

¹ عيسى بوقرين، ابن ناصر بن شهرة رمز المقاومة....، المرجع السابق، ص 218.
² الملازم كاروس Carrus: من مواليد مارسيليا، يهودي الأصل يتكلم اللغة العربية بطلاقة كلف سنة 1849 بمهمة مراقبة قبيلة الأرباع، ادعى أنه صديق بن ناصر بن شهرة ويعرف كيف يؤثر في نفسية العرب لكن كل محاولاته من أجل اخضاع الأرباع باءت بالفشل. انظر: عيسى بن قرين، المقاومة الشعبية في الجنوب الشرقي، المرجع السابق، ص93.
³ عيسى بوقرين، المرجع نفسه، ص 219.
⁴ عيسى بوقرين المقاومة الشعبية في الجنوب الشرقي...، المرجع السابق، ص92.

تحصن ابن ناصر بن شهرة بقصر الحيران بعد أن زحف جنوباً نحو الأغواط في تلك الأثناء كان شريف ورقلة محمد بن عبد الله قد رجع من المشرق واستقر بورقلة لمقاومة الزحف الاستعماري فاتصل به ابن ناصر بن شهرة واتفقا على العمل والتنسيق المشترك بينهما وكان ذلك في شهر نوفمبر 1851م¹.

المطلب الثالث: تحالفه مع الشريف محمد بن عبد الله

كان ابن شهرة شديد الحماس من أجل الانضمام إلى ثورة محمد بن عبد الله و ما يدل على ذلك رسالته التي أرسلها إلى بالحرش يدعو فيها إلى ضرورة التراجع عن وقوفه مع الاستعمار و الانضمام إليهم ، كان محتوى الرسالة كالآتي : " إلى صاحبنا سيدي محمد بن الشريف ، السلام عليكم من اخوانكم جماعة الارباع و بخاصة الأغا ابن ناصر ، سعد بن مبارك نعلمكم ان جماعة سيدي محمد بن عبد الله قد وصلت ومن معها جماعة من المخادمة و الشعابنة و نحن قد تحالفنا معهم بكل ود لأنه لم يعد لنا ما نأمله من دولة الفرنسيين و نحن نريد التقرب إلى الله اننا نعتبركم اخوانا لنا و لهذا فمن غير المجدي توصيتكم و السلام"² ، إلا أن مضمون الرسالة لم يؤثر في الشريف بالحرش بل واصل موالاته للفرنسيين و عدائه للحركات الثورية . بعد تحالف بن ناصر ابن شهرة مع الشريف بن عبد الله خرج معه من ورقلة في أواخر سنة 1851م على رأس جيش متكون من قبائل سعيد عتبة و شعابنة بوروية و شعابنة المواضي الذين قدموا من المنيعه للالتحاق بهم وكانت وجهتهم نحو أولاد سعد بن سالم في أولاد نايل، فهاجموهم وانتصروا عليهم واخذوا منهم 50 رأس من الإبل و 400 رأس من الغنم³

في هذا الوقت بدأ كل من الأغا بالحرش وخليفته سي احمد بن سالم وأغا جبل العمور يستعدون لمواجهة ابن ناصر بن شهرة وبن عبد الله، لكن الأهالي وخاصة قبيلة الأرباع رفضوا مقاتلة بن شهرة بعد أن أدركوا نواياه، وبهذا لم يجد بالحرش الذي كانت متخوفا

1 عيسى بن قرين، المقاومة الشعبية في الجنوب الشرقي...، المرجع السابق، ص95.

2 سعود دحدي، البعد الجهادي المغربي للطريقة السنوسية 1842-1931، رسالة لنيل الماجستير في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر 2009-2010.

3 يوسف بن حيدة، المرجع السابق، ص35.

على نفسه وممتلكاته إلا الفرار بنفسه¹. ومن ثمة توالى انتصارات ابن ناصر بن شهرة والشريف بن عبد الله فبعد انتصارهم على الجلايين بدءا كلاهما يحضران للتوجه نحو مدينة الأغواط محاولان تخليصها من العملاء الفرنسيين وعلى رأسهم أحمد بن سالم، حيث تم إعداد الأنصار والمؤونة، كان الفرنسيون مدركين لخطورة هذه الحملة ضدهم و ضد عملائهم فأخذوا يعملون بشتى الطرق من أجل احباط هذه الحملة حيث قام الجنرال "راندون" بتجنيد ثلاث فرق و قد قدمت هذه الفرق من وهران و معسكر و المدينة، كانت الفرقة الثانية بقيادة الجنرال "بلسيه" حيث تمركزت هذه الأخيرة بالبيض و الفرقة الثالثة كانت بقيادة "ماكاهون" كلفت بحماية منطقة بسكرة و الواحات الشرقية²، في تاريخ 04 أكتوبر 1852م خاض كل من الشريف عبد الله و ابن ناصر بن شهرة و اتباعهم معركة كبيرة في منطقة عين الرق قرب واد مزي في الأغواط ضد الفرنسيين حيث تم القضاء فيها على ما يقارب 200 عسكري فرنسي، بعد هذا الانتصار لاقى استقبال عظيم من طرف أهالي الأغواط³.

بعد سقوط منطقة الاغواط في أيدي الفرنسيين وانسحاب كل من ابن ناصر بن شهرة والشريف بن عبد الله منها نحو منطقة ورقلة ومع التطورات والأحداث التي حصلت تم بتاريخ 23 جانفي 1853م عقد مجلس الحرب بالرويسات وتم اعداد خطة جديدة تهدف الى استرجاع مدينة الأغواط فتم جمع وتجنيد المجاهدين من المناطق المجاورة فشكّلوا ثلاث فصائل وهي كالآتي:

- الأولى قادها ابن ناصر بن شهرة والتي انطلقت في 13 مارس باتجاه جبل بوكحيل لكسب تأييد قبائل المنطقة ومعاقبة المساندين لفرنسا.
- الثانية قادها الشريف بن عبد الله والتي توجهت نحو قصر لا لمايا غرب الأغواط من أجل جمع دعوة السكان للجهاد.

1 عبد الحميد نجاح، منطقة ورقلة وتقرت وضواحيها، الأمل للطباعة، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، تقرت، 2003، ص30.

2 يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين...، المرجع السابق، ص107.

3 إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 120.

● الثالثة كانت بقيادة الشيخ لكل وقصدت مسعد جنوب الجلفة حيث تمت الاغارة على القبائل الموالية لفرنسا والدعوة الى الجهاد¹.

كان ابن ناصر بن شهرة نعم الرفيق للشريف بن عبد الله في الكفاح، فأرادت السلطات الفرنسية القضاء على هذا التلاحم فحرضت كل من الباشا آغا بالحرش والخليفة سي حمزة ولد سيدي الشيخ لمواجهتهما وذلك مقابل الأموال والألقاب².

كان اتصال ابن ناصر بن شهرة بشريف ورقلة في أواخر سنة 1851م نقطة تحول كبيرة في تاريخ المقاومة الشعبية في الجنوب الشرقي، بتوحيدهم لصفوف المقاومين في منطقة واسعة جدا امتدت من جنوب الجلفة شمالا إلى ورقلة جنوبا وإلى تقرت وبسكرة شرقا، وضموا إلى صفوف المقاومة الكثير من القبائل الكبيرة مثل الشعانية والحرازلة والمخادمة والأرباع وأولاد نايل وغيرهم تحت قيادة واحدة هدفها وقف الزحف الاستعماري نحو الجنوب³.

كان لمشاركة ابن ناصر بن شهرة دور كبير في مقاومة الشريف بن عبد الله حيث دعم هذه الانتفاضة وضمن استمراريتها مدة أطول من الزمن، فقد وجد بن عبد الله في بن شهرة نعم الرفيق والسند في الكفاح من أجل الوطن، فالمعارك التي خاضها معا كانت تصل أصداءها الى مناطق مختلفة، وتسببا في تمرد العديد من القبائل التي كانت موالية لفرنسا وسحبها لطرفهما، كانت الصحراء هائجة في أوائل الخمسينيات تموج تحت تأثير بن ناصر بن شهرة والشريف بن عبد الله⁴.

والملاحظ أن ابن ناصر بن شهرة لم ينضم الى مقاومة الشريف بن عبد الله فقط بل شارك أيضا مع أولاد سيدي الشيخ سنة 1864م وكذلك ثورة بوشوشة (1869-1875) لكن يبقى تحالفه مع بن عبد الله الأهم في مسيرته النضالية ضد الاستعمار الفرنسي⁵.

¹ يوسف بن حيدة، المرجع السابق، ص32.

² عيسى بوقرين، ابن ناصر بن شهرة رمز المقاومة....، المرجع السابق، ص 284.

³ يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين ...، المرجع السابق، ص 181.

⁴ يوسف بن حيدة، المرجع نفسه، ص 32.

⁵ عيسى بن قرين، المقاومة الشعبية في الجنوب...، المرجع السابق، ص 97.

المطلب الرابع: نتائج مقاومة ابن ناصر بن شهرة

استطاع ابن ناصر بن شهرة من خلال مقاومته للاحتلال الفرنسي في الجنوب الشرقي أن يجسد مفهوم الاستمرارية للعديد من الثورات والمقاومات التي قامت في المناطق الصحراوية، معبرا بذلك عن رفضه الكامل للتواجد الاستعماري فقد كان يساند أي عمل ثوري وأي زعيم ثائر وهذا كله على أساس وطني يرفض أي تهديد أجنبي يهدد هويتنا الإسلامية العربية¹.

تمثل موقف ابن شهرة في مقاومته للاحتلال الفرنسي على مبدأ الشمولية والوحدة الجغرافية والسياسية ودعم كل الثورات في مختلف المناطق حتى يمنع الاستعمار الفرنسي الاستعمار الفرنسي من مد نفوذه وقد كان رافضا لمبدأ الانتقام الذي كان يدعو له الاستعمار.

أكد ابن ناصر بن شهرة في نضاله على مبدأ التعاون الديني بين كل الطرق الصوفية باسم الجهاد المقدس، فقد اشترك مع الشريف بن عبد الله ذات الدعم السنوسي، ثم مع أولاد سيدي الشيخ ذات الدعم الطيبي، ثم مع الرحمانية ثم مع الشريف بوشوشة².

بمساعدة ابن شهرة لكل الثورات لم يؤكد على وحدة الوطن فقط وإنما جسده في العمليات العسكرية الناجحة التي قام بها وساهم من خلالها في توسيع الإطار الجغرافي للعمل الثوري ونلمس ذلك في ثورة الشريف محمد بن عبد الله التي امتدت شمال الأغواط وجنوب ورقلة وكذلك عملياته مع أولاد سيدي الشيخ ومع بوشوشة من خلال تنشيط وتحفيز سكان المناطق الحدود الشرقية على الثورة ودحض الاستعمار.

كان لابن شهرة تأثير كبير على الثوار وذلك راجع لقوة شخصيته فقد جمع كلمتهم ونشر بينهم العاطفة الدينية والوطنية وعزز ما يسمى بالترابط الداخلي بينهم حيث استطاعوا التواصل مع بعضهم البعض دون تنسيق مسبق مما سمح باستمرار هذه المقاومات³.

1 أحمد قصبية، المرجع السابق، ص54.

2 عيسى بوقرين، ابن ناصر بن شهرة رمز المقاومة....، المرجع السابق، ص 284.

3 نفسه، ص 286.

المبحث الثالث: ثورة الشريف بوشوشة

المطلب الأول: شخصية الشريف بوشوشة

هو محمد بن التومي بن إبراهيم المدعو بوشوشة¹، ولد سنة 1839م بالغيشة بجبل العمور بضواحي آفلو، ينحدر من أسرة فقيرة ومحافظة على التقاليد العربية الإسلامية. حفظ القرآن ومارس الرعي وهو صغير، حيث كانت مهنته الأساسية التي أكسبته اليقظة الدائمة والمسؤولية وروح المقاومة لمحاربة العدو.²

يتكلم عدة لهجات منها التارقية والميزابية، اتصف بالشجاعة الكبيرة خلال كل المعارك التي خاضها.

التحق بعدة زوايا لمواصلة تعليمه بعد إنتقاله إلى منطقة الزيبان خاصة عند أولاد سلطان ثم زاوية سيدي علي بن عمر بطولقة بسكرة، ثم عاد إلى مسقط رأسه بجبل عمور.

تعرض للإيقاف من طرف بن يحي آغا بجبل عمور بحجة إثارة الفوضى عن طريق الوعظ الديني، إلا أنه أخلي سبيله بعد تدخل بعض الوجهاء وغادر بذلك نحو الغرب.³

بعد إنتقاله إلى المنيعية وإستقراره فيها عرض عليه سكانها قيادتهم ضد القوات الفرنسية لكنه رفض ذلك بحجة ذهابه إلى مكة، ومنها إنتقل إلى ورقلة ولكن علي باي رفض بقاءه، فانتقل بعد ذلك إلى وادي سوف ومنها إلى نفطة بتونس لجمع السلاح والمال حيث اتصل بالسنوسيين وأصبح من أعوانهم وتأثر بحركتهم.⁴

تزوج الشريف لأول مرة من إحدى قريباته مباركة بنت سي المبارك بعد عودته من نفطة إلى جبال عمور مسقط رأسه حتى لا يلفت أنظار أعداءه لكنه طلقها بعد ثمانية أيام فقط لأنه كان ينوي الرحيل، أما زواجه الثاني كان من امرأة من أولاد سيدي الشيخ.

¹ بوشوشة: هي كنية تطلق على الصبي عندما تترك له خصلة من بعض شعر رأسه عند حلقه في بداية صباه، وتذهب المصادر الفرنسية أنه بوشوشة كان صاحب شعر طويل. ينظر عيسى بوقرين، "أضواء على مقاومة الشريف بوشوشة 1863-1875"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، جامعة الأغواط، جويلية 2019م، ص 123.

² رابح لونيبي وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، ج 01، دار المعرفة، الجزائر، د.س، ص 88.

³ عيسى بوقرين، أضواء على...، المرجع السابق، ص 111.

⁴ سعد الله أبو قاسم، الحركة الوطنية...، ج 01، المرجع السابق، ص 356.

لقد لمع نجم الشريف في عين صالح بمساعدة رفيقه بوخشبة¹ وعلي بوشنب ولقب بالشريف، ومن هنا بدأ ثورته ضد الاحتلال الفرنسي في الصحراء².

يجدر بنا الإشارة إلى أن بوشوشة وبحكم تربيته ونشأته في الزوايا لم يرضى البقاء تحت حكم الاحتلال بحيث تنقل شرقا وغربا وكان الهدف من هذا البحث عن الرجال والسلاح للقيام بالثورة ضد الاحتلال الفرنسي.

المطلب الثاني: مرحلة القوة ومد النفوذ 1869م-1872م

تبدأ هذه المرحلة منذ لحظة وصول الشريف بوشوشة إلى عين صالح في شهر سبتمبر 1869م حيث بدأ بجمع الأنصار إلى جانبه فإنضمت عدة قبائل إليه أهمها شعابنة ورقلة، أولاد سعيد، أولاد فرج، أولاد بلقاسم... الخ، ومع بداية سنة 1870م انتقل على رأس قوة مشكلة من 360 من توارق الهقار و100 من الشعابنة الثائرين إلى مدينة المنيعه بتاريخ 28 أفريل واستولى عليها³ وسجن القائد جعفر الخاضع لسلطة الفرنسيين، وفي 5 ماي استولى على متليلي⁴.

من جهة أخرى لاحق الشريف بوشوشة عائلة "علي باي" بعد مغادرة علي باي تقرت ووضع عائلته تحت حماية الزاوية التيجانية في قمار لأنها تحظى باحترام الجميع وحماية كل السوافة، واحتل الشريف بوشوشة سوف في شهر مارس 1871م، وفي 05 مارس 1871م اتجه⁵ إلى قرى وادي سوف وحاول أن يقتحم بلدة نقوسة، وفي 08 مارس من نفس السنة إتجه إلى قمار فرفض استقباله شيخ الزاوية التيجانية محمد الصغير بن الحاج لأنه ظن أنه جاء لمهاجمة الزاوية إلا أن الشريف بوشوشة أوضح له أنه جاء لمهاجمة زمالة علي باين ومع ذلك رفض سكان سوف دخوله القرية فتجنب بوشوشة الاضطدام معهم

¹ بوخشبة: أحد ألمع المقاتلين لدى الشعابنة يتمتع بسمعة طيبة في كامل أرجاء الصحراء عاش ثائرا مدة طويلة ولكنه استسلم في النهاية، توفي بورقلة سنة 1864م. ينظر عيسى بوقرين، أضواء على...، المرجع السابق، ص 123.

² نفسه، ص 112.

³ عيسى بوقرين، أضواء على مقاومة...، المرجع السابق، ص 114.

⁴ محمد بن معمر، "الشريف بوشوشة: زعيم ثورة 1871م في صحراء الجزائر الشرقية"، مخبر البحث التاريخية، جامعة وهران، ص 108.

⁵ عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2005م، ص 146.

ورحل عن قمار وذلك عند دفع السكان مبلغ من المال له. إلا أنه أعاد مرة أخرى الهجوم على هذه البلدة بين 04 و06 ماي لأن الزاوية التيجانية أوت عائلة على باي ولم تسلمها إلى بوشوشة، حيث خلف هذا الهجوم ستون قتيلًا ومائة جريح وانتهى هذا التصادم بالتفاوض والتفاهم أن يرفع بوشوشة الحصار مقابل دفع التعويضات الخيول التي قتلت وقدرها 25 ألف فرنك وعرفت هذه المواجهة بمعركة قمار.¹

وفي آخر ذلك الصيف استغل فريق بن قانة (في تاغزوت وكوينين والزقم) في سوف علاقاتهم مع فروع الرحمانية في الجنوب التونسي لتسهيل الحصول على كمية من البارود، حيث عرضوها على بوشوشة ولكن صف بوعكاز (في الوادي، قمار، الدبيلة) قاوم هذه الصفقة على أمل كسر احتكار الصف الآخر لتجارة البارود وبعد منازعات في شوارع تاغزوت أدت إلى جرح أربعة وعشرين شخصا مما أجبر باعة البارود على دفع خمسة وعشرين ألف فرنك على قمار وحلفائها، وهو المبلغ الذي دفع إلى بوشوشة في شهر ماي²، وكتعويض على النهب وقتل سكان قمار الذين ماتوا وبالتالي فإن نتيجة هذا الصراع كانت في صف بوشوشة حيث مكنته من تقوية نفوذه بالمنطقة.

من جهة أخرى وصلت رسالة من ابن ناصر بن شهرة وشيخ شعابنة ورقلة إلى الشعابنة المتواجدين رفقة بوشوشة بعين صالح يطلب منهم القدوم نحوه كما يطلب احضار بوشوشة معهم.

فتحرك الشريف على رأس ثمانين مهري في شهر مارس من سنة 1871م نحو ورقلة التي دخلها من دون مقاومة، واستطاع أن يهزم أنصار على باي قرب ورقلة، واتخذها قاعدته العسكرية ومنطلق عملياته وقد قدم له المخادمة والشعابنة فروض الولاء وبالتالي أصبح بوشوشة يسيطر على مساحة واسعة من الصحراء.

كذلك تلقى الشريف أيضا شكاوي من أهل تقرت وطلب المساعدة منه خاصة ضد علي باي الذي أثقل كاهلهم بالضرائب ومارس السيطرة المطلقة عليهم خاصة أنه يمثل السلطة

¹ سعد الله أبو قاسم، الحركة الوطنية...، الجزء الأول، المرجع السابق، ص 278.

² العجيلي التليلي، الطرق الصوفية والإستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية 1881-1939، مج 2، منشورات كلية الآداب ببنوية، تونس، 1992م، ص 51، 52.

الإستعمارية هناك، فعزم الشريف القضاء عليه لكن باي لم يكن وقتها متواجد بتقرت التي تعتبر الإقامة الشتوية له، وكان وقتها بالزاب رفقة أربعين من رجاله، لكنه ترك أهله بتقرت تحت حراسة الحامية العسكرية الفرنسية المكونة من 65 جندي من القناصة يقودها الملازم حمو بن موسلي، ولما وصل بوشوشة إلى تقرت بتاريخ 14 ماي 1871م وجد أبوابها مفتوحة من قبل أنصاره فسيطر عليها ولكن بقيت قصبتها التي تحصن بها الحامية العسكرية بالإضافة إلى عائلة علي باي، حيث بدأت المناوشات في 15 ماي 1871م حيث¹ سقط من خلالها 6 من القناصة من بينهم مساعد الملازم موسلي² "فرانسوا باسيل François Bassil" وجرح 12 آخرين، مما اضطر الملازم موسلي إلى تقديم عرض للشريف بوشوشة مقابل الانسحاب من تقرت وطلب منه تحديد المبلغ الذي يريد، إلا أن مبعوث الشريف أصيب بطلقات نارية، مما أدى إلى توقف المفاوضات وبالتالي عزم بوشوشة على تدمير القنصة، مما أدى بقناصة الحامية العسكرية إلى الانسحاب من القنصة والاتجاه نحو الشمال في محاولة للفرار نحو بسكرة ولكن بوشوشة لحق بهم وأبادهم رفقة قائدهم الملازم موسلي.

في المقابل حاول أنصار علي باي تنظيم الدفاع عن المدينة ولكن دون جدوى مما اضطرهم في النهاية الخضوع لبوشوشة الذي عين بوشمال بن قوبي خليفة على تقرت، وعين طالب علي شيخا على تبسبست.³

المطلب الثالث: مرحلة التراجع والضعف 1871-1875

الانسحاب نحو الجنوب وفقدان ورقلة:

لم تكن السلطات الفرنسية في ذلك الوقت غافلة عن حركة بوشوشة ورفاقه، غير أن انشغالهم بمقاومة ثورة الحداد والمقراني التي كانت في سنة 1871م في الشمال جعلهم

¹ عيسى بوقرين، أضواء على مقاومة...، المرجع السابق، ص 114.
² الملازم موسلي: تجند في صفوف القوات الفرنسية منذ سنة 1848م وقدم خدمات كبيرة له شارك في حملة القرم، رقي إلى رتبة ملازم سنة 1860م، ثم ملازم أول سنة 1866م، نال وسام فرسان الشرف سنة 1868م، عينته القوات الفرنسية قائدا على الحامية العسكرية في تقرت. ينظر عيسى بوقرين، أضواء على مقاومة...، المرجع نفسه، ص 124.
³ نفسه، ص 114، 115.

يكلفون أعوان بملاحقته في الجنوب وتتبع كل تحركاته ومت هؤلاء بولخراص وابن قانة وكذلك قبيلة السعيد عتبة.

هوجم الشريف بوشوشة من طرف بولخراص وابن قانة وجماعة السعيد عتبة في 07 نوفمبر 1871 حيث كان بولخراص يهدف من وراء هذا الهجوم الى استعادة تقرت ويخطط للوقوف في وجه بوشوشة الذي اجتمع به في معركة "كويف جلبة" بين العالية والقرارة لوادي ريغ، كان من نتائج هذا الهجوم إصابة بوشوشة بجروح بليغة وقتلوا ستة من رجاله واستولوا على معظم ذخيرته¹.

بعد شفاء بوشوشة من جروحه عاد الى الساحة بتكوينه خمس كتائب صغيرة للعمل وذلك في 17 ديسمبر 1871م حيث اتجهت كل هذه الكتائب نحو حاسي قدور ثم الى حاسي تامزقيدة. وقد كانت ورائهم القوات الفرنسية تطاردهم وتلاحقهم بعد ان نجحت في تشتيتهم وبعد معركة قامت بينهم والتي استعد لها الفرنسيين أهبة الاستعداد وجندوا قواتهم استعادوا مدينة تقرت في 27 ديسمبر 1871م²، وفي 02 جانفي 1872 استطاع الجنرال دولا كروا انتزاع مدينة ورقلة من بوشوشة وأنصاره الذين كانوا يلاحقونهم.

وقد سارعت السلطات الفرنسية في اتخاذ إجراءات قمعية اتجاههم فبعد أن صادرت الأملاك المنقولة والعقارية وحتى الحيوانية بصورة فردية وجماعية، ساقط منهم عددا يقدر بخمسين متهم من بينهم ثلاثة عشر شخص من أعيان تقرت إلى المحاكمة فأصدرت ضدهم أحكاما مختلفة بتهم باطلة منهم من سجن بالسجن العسكري بمدينة قسنطينة ومنهم من فرضت عليهم الاعمال الشاقة ومنهم من نفي خارج البلاد في سجون فرنسا بمستعمراتها³.

أرسل الجنرال دولا كروا قوة عسكرية في 90 جانفي 1872م تتكون من 260 فارسا لملاحقة الثوار اللذين كانوا يتوجهون نحو الجنوب فلحقت بهم الى حاسي تامزقيدة واشتبكوا

¹ لخضر عواريب، "بعض الحقائق عن مقاومة الشريف بوشوشة من خلال بعض المصادر المحلية ومنها شهادة أملاها بوشوشة على زملائه في سجاناه"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 17، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2014، ص299.

² المرجع نفسه، ص 300.

³ نفسه، ص 301.

في معركة غير متكافئة لا من حيث العدة ولا من حيث العتاد، استولى الفرنسيين من خلالها على معظم زمالة بوشوشة من أغنام وجمال وخيام والحبوب والتمور والزراعي وكذلك النساء والأطفال والخدم، وقتل عدد كبير من الثوار منهم حفيد ابن ناصر بن شهرة.

سجن الشريف بوشوشة وإعدامه 1874-1875

بعد عودته الى ساحات المعركة من جديدة تكبد الاستعمار الفرنسي خسائر كبيرة و ذلك عن طريق المعارك التي كان يخرج منها منتصرا، و لهذا حققت عليه السلطات الفرنسية و بدأت في ملاحقته و جهزت له قوات أخرى كبيرة العدد و كثيرة السلاح ، فشرع السعيد بن ادريس الذي أوكلت له مهمة القضاء على بوشوشة في ملاحقته ابتداء من 04 مارس 1874م¹، و قد كان يعسكر في كدية بوجيفين في واد عقاربة فعمل ابن ادريس على الإطاحة به و محاصرته في 24 مارس و تمكن من أخذ معظم زمالته و أمواله و أسر له عددا كبيرا من أتباعه و اشتدت المعركة بشكل كبير و التي انتهت بوقوع بوشوشة أسيرا في يد المسمى "بعج بن قدور" أحد رجال السعيد بم ادريس في معركة الميلوك جنوب عين صالح في 31 مارس 1874م² .

وقد جاء على لسان بوشوشة حين روى تفاصيل هذه المعركة حيث قال: " ... هزمتنا، أصحابي هربوا وبقيت رفقة عشرة أو خمسة عشر فردا نطلق النار، بعد ذلك وجدت نفسي وحيدا مجروحا في رجلي، وحصاني مصاب إصابة بليغة لم يستطيع الوقوف فتركته، وألقيت بندقيتي وتوجهت إلى القائد بن قدور، قائلا: أعطوني الأمان، لم يجبني وأخذني إلى سعيد بن إدريس ..."³ ، بعدما أخذه إلى ورقلة نقل إلى العاصمة وبعدها إلى قسنطينة للمحاكمة فيها مباشرة. والتي احيل فيها إلى المجلس الحربي الذي نصب له دامت المحاكمة حوالي خمسة عشر يوما واعتبر الفرنسيون هذه المحاكمة من ذبول ثورة 1871 وفي آخر المحاكمة صدر ضده حكم الإعدام، ونفذ في صباح يوم 29 جوان 1875م بمعسكر الزيتون

¹ محمد العربي حرز الله، منطقة الزاب مائة عام من المقاومة 1830-1930، دار السبيل، 2008، ص371.

² يحي بوعزيز، "نماذج من مقاومة سكان الواحات"، مجلة الأصالة، ع 41، جانفي 1977، ص126.

³ لخضر عواريب، المرجع السابق، 301.

بضواحي قسنطينة. واستشهد رحمة الله عليه لقوله تعالى: " مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا "1

وقد تم مكافأة السعيد بن ادريس وأخاه من طرف السلطات الفرنسية على نجاحهم في القاء القبض على الشريف بشوشة والذي يعتبر بالنسبة لهم نجاح كبير².

خلاصة القول لهذا الفصل أنه بالرغم من إستيلاء الجيوش الفرنسية على إقليم الجنوب الشرقي وإخضاعه بشكل كامل إلا أنهم اصطدموا برفض شعبي كبير ترجم في شكل مقاومات شعبية قادها مجموعة من الثوار والمناضلين الذين كان من بينهم: الشريف محمد بن عبد الله، ابن ناصر بن شهرة، الشريف بوشوشة.

1 سورة الأحزاب، الآية 23.

2 لخضر عواريب، المرجع نفسه، ص302.

خاتمة

من خلال هذه الدراسة العلمية التي تمحورت حول السياسة الإستعمارية الفرنسية في الجنوب الشرقي سنة 1844م إلى غاية 1930م استعرضنا فيها أهم الأحداث والتي استخلصنا منها النتائج التالية:

_ يتميز الجنوب الشرقي الجزائري بموقع إستراتيجي هام لكونه يعتبر بوابة الصحراء الإفريقية، مما جعله من المخططات الاستعمارية لسياسة التوسعية لفرنسا.

_ كان لإحتلال فرنسا لإقليم الجنوب الشرقي عدة أسباب ودوافع شملت المجالات الاقتصادية والعسكرية والسياسية.

_ لجأت السلطات الفرنسية للبعثات الإستكشافية لتسهيل عملية التوغل نحو الجنوب الشرقي الجزائري.

_ كان الجنوب الشرقي ملجأ للمقاومين الفارين من الشمال بسبب تضيق فرنسا الخناق عليهم والقضاء على مقاوماتهم فيها، حيث اتخذوا الجنوب الشرقي مركزا لتجديد هذه المقاومات.

_ كانت بسكرة أول منطقة من الجنوب الشرقي سقطت في أيدي الإستعمار الفرنسي سنة 1844م، وذلك راجع لموقعها الإستراتيجي وباعتبارها بوابة الصحراء الجزائرية، ومن ثم بدأوا تدريجيا بالتوغل إلى باقي مناطق الأخرى (الأغواط سنة 1852م، ورقلة سنة 1853م، وادي سوف سنة 1854م).

_ إن الصراع السياسي الذي كان قائما بين الأسر الحاكمة خاصة بين عائلة ابن قانة وبوعكاز في منطقة الجنوب الشرقي حول الزعامة يعتبر الثغرة التي استطاعت فرنسا من خلالها الدخول إلى إليه والتغلغل أكثر فيه.

_ ضربت الإدارة الإستعمارية مجتمعات الجنوب الشرقي من خلال عدة طرق وأساليب منها:

- استغلال التفرقة والخلافات التي كانت بين القبائل والعشائر وعملت على بث بذور الشقاق بينهم.
- استمالة الزعامات المحلية وذلك من خلال استغلال نقطة ضعفهم المتمثلة في حب الزعامة والسلطة عن طريق الإغراء وتوزيع الألقاب وإعطائهم نوع من

القوة ومن أبرز الشخصيات التي توطئت مع الدولة الإستعمارية نذكر: محمد الصغير بن أحمد بن الحاج، حمزة ولد بوبكر الذي خدم الفرنسيين أكثر من خدمة أنفسهم، سي زوبير... الخ

● قامت أيضا باستغلال نفوذ الطرق الصوفية ومن بين الشيوخ الذين توطئوا مع المحتل الفرنسي: شيخ التيجانية محمد العروسي، وشيخ القادرية محمد الهاشمي الشريف.

● أسلوب الترهيب والترغيب الذي يعرف في الأدبيات الفرنسية بأسلوب العصا والجزرة.

_ هذا فيما يخص الجانب الاجتماعي، أما في الجانب الاقتصادي فقد اعتمدت على سياسة الإفقار عن طريق جملة من القوانين الاقتصادية القمعية وإتقال كاهل السكان بالضرائب.

كان الهدف الأساسي من احتلال إقليم الجنوب الشرقي هو استغلال وإستثمار إمكانياته الاقتصادية في مصالحها الخاصة.

_ خلفت السياسة الاقتصادية بالجنوب الشرقي نتائج وخيمة على السكان والأهالي حيث قامت ببناء نظام اقتصادي يخدم مصالحها على حساب الأهالي.

_ تمثلت السياسة العسكرية الفرنسية في الصحراء الجزائرية في إنشاء القواعد العسكرية ونصب الحاميات والحصون والأبراج، ومن أهم هذه الأبراج: برج فلاتيرس، برج شانديز، برج لالمان، بالإضافة إلى إنشاء مصلحة للسيارات العسكرية، وكانت أول تجربة لها في 22 جويلية 1916م بورقلة، وكذلك إنشاء محطة للطيران وكان أول إستطلاع جوي في الجنوب الشرقي فوق مدينة ورقلة في ماي 1917م.

_ لم يسلم الجانب الديني هو الآخر من السياسة الفرنسية التي حاولت من خلاله ضرب الهوية الوطنية الإسلامية، حيث ارتبطت هذه السياسة بالكاردينال شارل لافيغري ومشروعه التنصيري الإستعماري، والذي إستهل مشروعه بتأسيس جمعية القديس أوغسطين لبعث الدين المسيحي، ثم إنشاء جمعية الآباء البيض الصحراويين والتي كان

مقرها ورقلة، ونجد كذلك فرقة الأخوات البيض وكان أول تواجد لهن في الجنوب الشرقي سنة 1870م في الأغواط.

ومن بين أهم الكنائس التي ته إقامتها بالجنوب الشرقي كنيسة برونو التي تأسست في 1854م بمنطقة بسكرة.

فيما يخص الوسائل والأساليب التي إعتمدت عليها الإدارة الفرنسية لنشر سياستها التنصيرية: المساعدات الاجتماعية، التعليم، إقامة المصحات والمستشفيات.

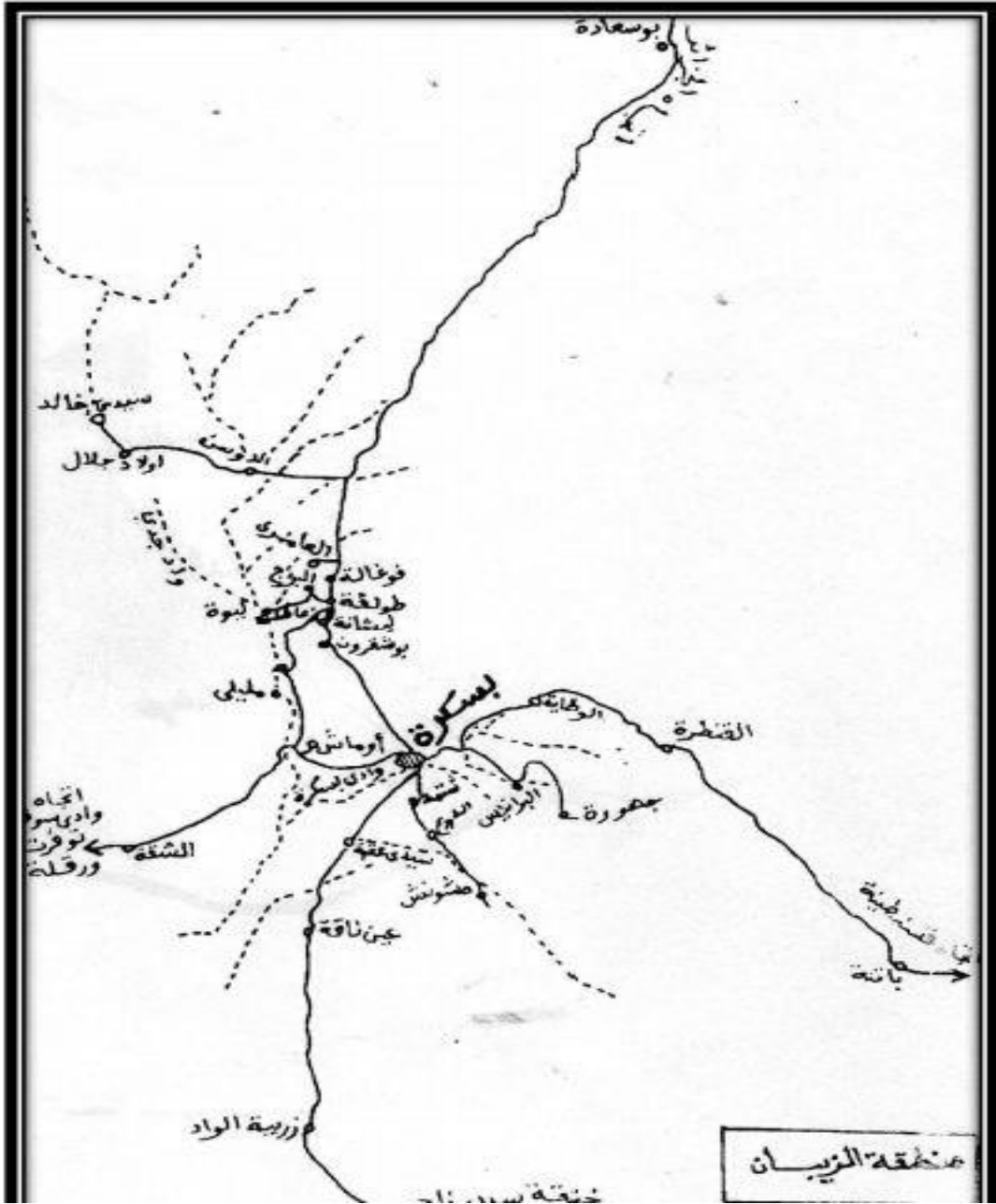
كان الهدف الأساسي من السياسة التعليمية الفرنسية في الجنوب الشرقي هو إستقطاب أكبر عدد ممكن من أبناء المنطقة لإعدادهم وتجهيزهم للوظائف والمناصب التي تخدم الإدارة الاستعمارية، وكذلك تهدف أيضا إلى طمس الهوية الوطنية والقضاء على مقومات والتعاليم الدين الإسلامي بصفة خاصة والقضاء نهائيا على مكونات المجتمع الجزائري بصفة عامة.

كان سكان الجنوب الشرقي منذ دخول الإحتلال للمنطقة رافضين له، وقد تبلور هذا الرفض في العديد من المقاومات والتي كان أهمها: مقاومة الشريف محمد بن عبد الله، ومقاومة ابن ناصر بن شهرة، وثورة الشريف بوشوشة، وقد رسموا من خلال هذه المقاومات أسمى معاني حب الوطن والتضحية بالنفس والنفيس في سبيل نيل الحرية وطرد المسـ_____تعمر الغاشم_____م.

الملاحق

الحرائط

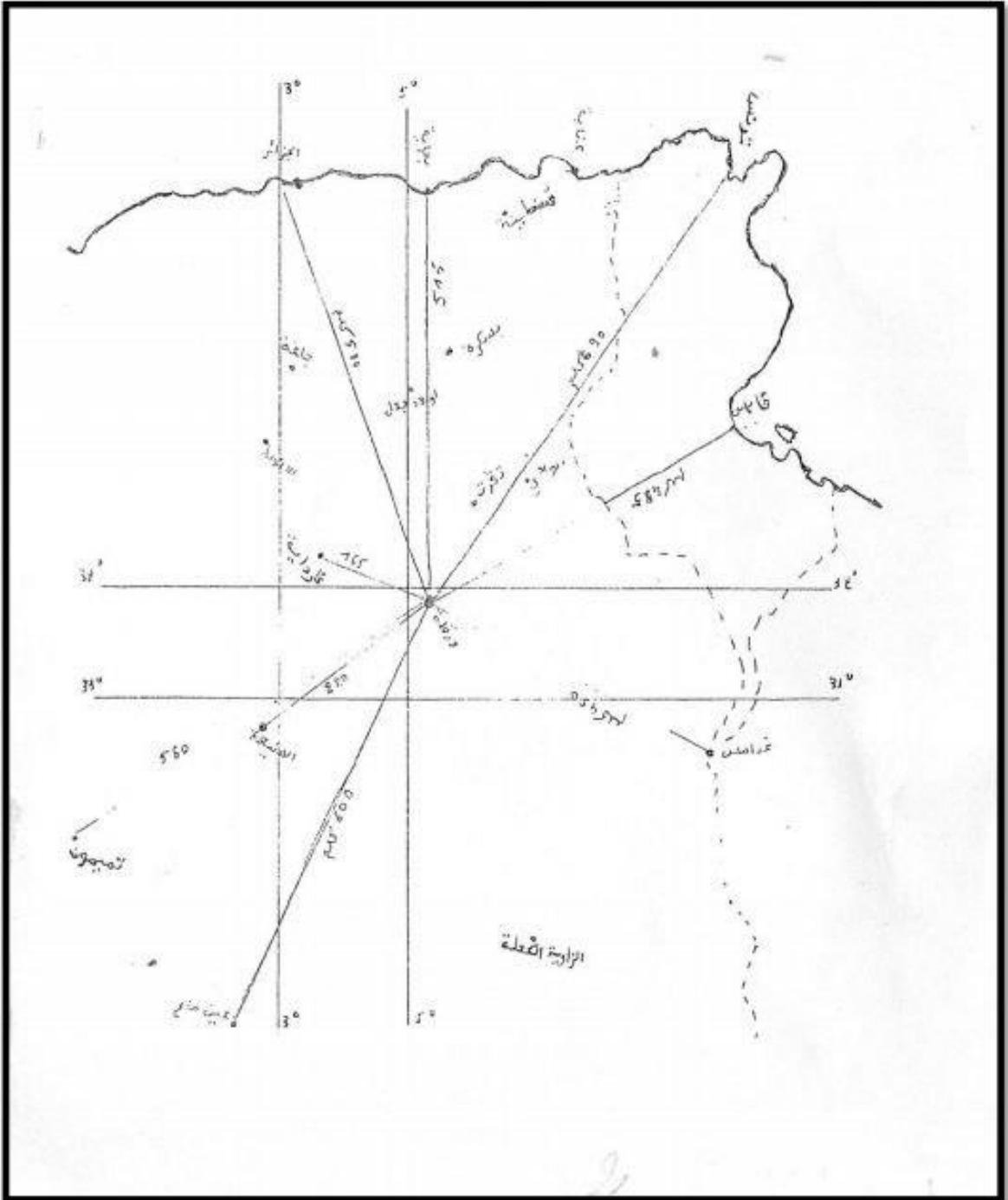
الخريطة رقم 01: موقع منطقة الزيبان



المصدر: إبراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية

، ص 616.

الخريطة رقم 02: موقع ورقلة في الصحراء الجزائرية



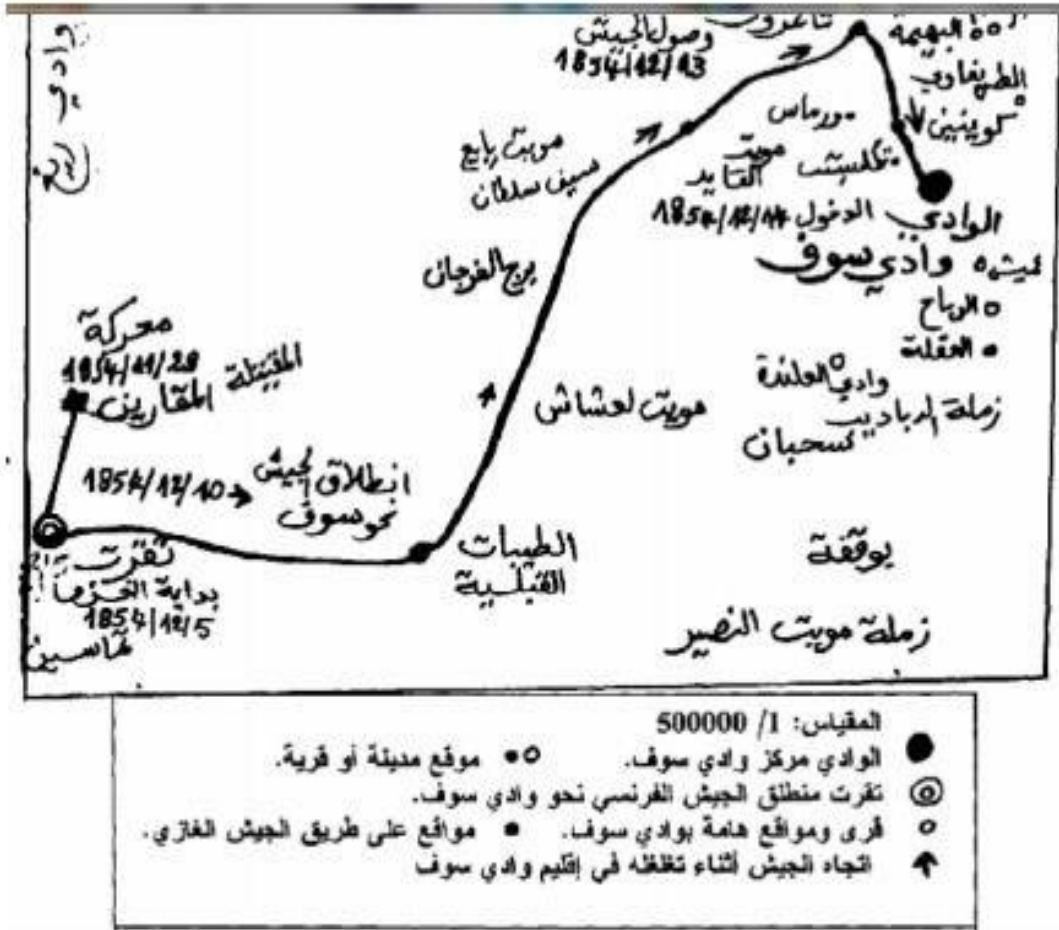
المصدر: عبد الرحمان حجي، تاريخ ورقلة وحضارتها، ص 14.

الخريطة 03: إقليم وادي سوف



المصدر: علي غنابزية، مجتمع واد سوف من الاحتلال الفرنسي الى الثورة التحريرية 1882-1954، ص 17.

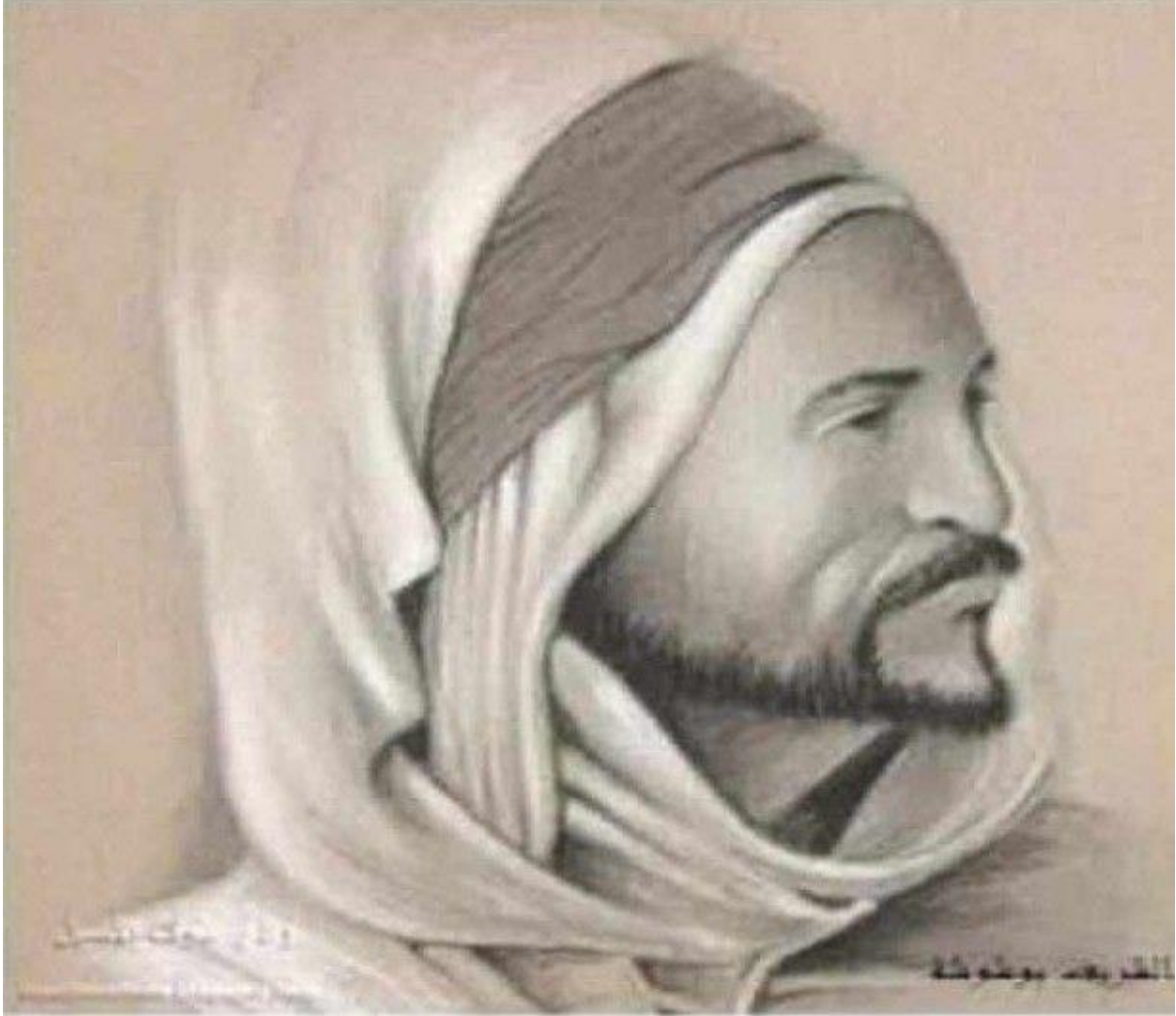
الخريطة 04: مسالك الجيش الفرنسي أثناء غزوه تقرت و وادي سوف



المصدر: علي غنابزية، المرجع السابق ، ص23.

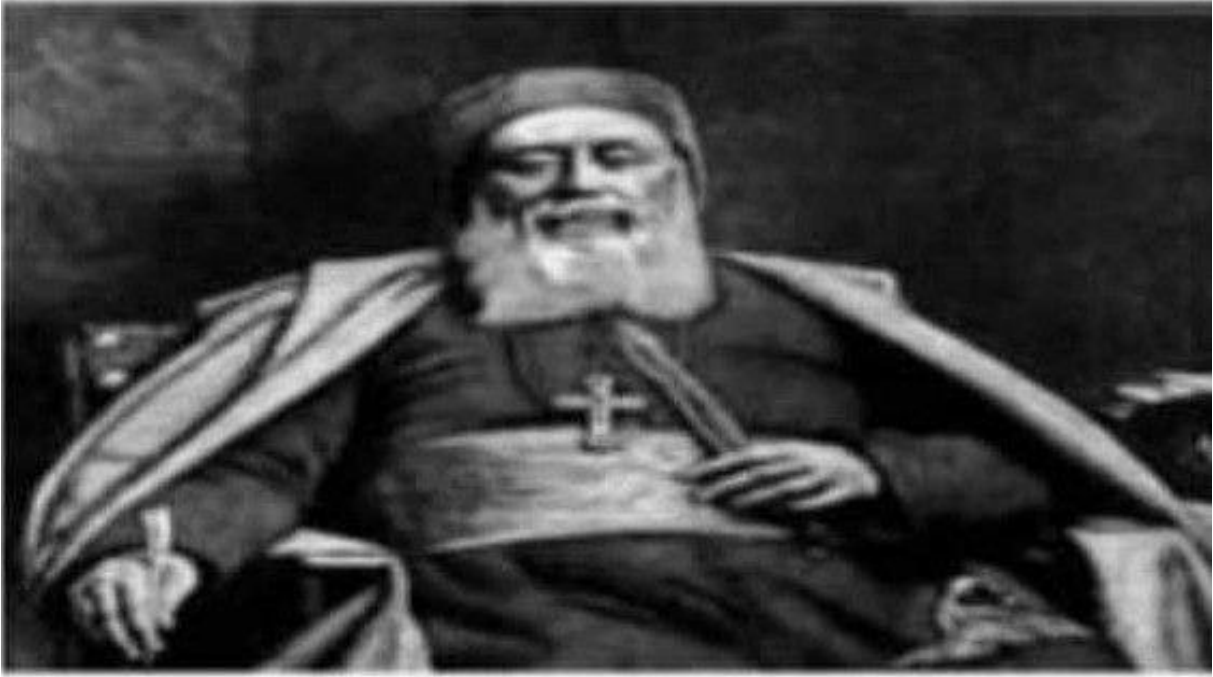
الصور

الصورة 01: الشريف بوشوشة



المصدر: منشورات متحف المجاهد لولاية 03 الجلفة، نشرت بتاريخ 25 جويلية 2019.

الصورة 02: الكاردينال لافيغري



المصدر: فاطمة الزهراء بن يحيى، بوبكر فوزية، رحلات
استكشافية فرنسية ودورها في احتلال الصحراء الجزائرية في
القرن 19، ص 70.

الصورة 03: الشريف محمد بن عبد الله



المصدر: بوغرارة هبة الله، الأوضاع الاجتماعية والثقافية لمنطقة تقرت في العهد الاستعماري 1854-1962، ص91.

قائمة المصادر والمراجع

ا. القرآن الكريم:

(1) سورة الأحزاب الآية 23.

اا. المصادر:

• باللغة العربية:

(1) الأغواطي الحاج، رحلة الأغواطي، تح أبو قاسم سعد الله، مجموع الرحلات المعرفية الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.

(2) بيلي دوني، معالم لتاريخ ورقلة 1872م-1992م، ترجمة علي ايدر، طبعة 1، 1995م.

(3) تروملي، الفرنسيون في الصحراء يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية، ترجمة محمد المعراجي، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، دار غرناطة، الجزائر، 2013.

(4) التلمساني ابن هطال أحمد، رحلة محمد الكبير باي الغري الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق محمد بن عبد الكبير، عالم الكتاب، القاهرة، 1969م.

(5) الحموي ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، المجلد الخامس، بيروت، 1977م.

(6) العياشي عبد الإله، الرحلة العياشية 1661م، 1663م، مجلد الأول، تحقيق سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، دار السويدي، الإمارات، 2006م.

(7) المدني أحمد توفيق، جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية، المطبعة العربية، الجزائر، 1948م.

(8) المدني أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، 2001م.

(9) الوزان حسن بن محمد، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، طبعة الثانية، 1983م.

• باللغة الفرنسية:

1) **Daumas** : le Sahara Algérien, études géographiques, statique et historique, paris, 1845.

III. المراجع

• باللغة العربية

- (1)
- (2) أبو قاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، الجزء الخامس، 2005م.
- (3) أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، الجزء 3، 1998م.
- (4) بقطاش خديجة، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830م، 1870م، دار حلب، سوريا.
- (5) بن بكير يوسف الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب (دراسة إجتماعية، إقتصادية، سياسية)، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م.
- (6) بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 2005م.
- (7) بوعزيز يحيى، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار البعث للنشر، قسنطينة، الطبعة الأولى، 1980.
- (8) بوعزيز يحيى، ثورات القرن التاسع عشر، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
- (9) بوعزيز يحيى، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، دار البصائر، طبعة خاصة، 2009م.
- (10) بوعزيز يحيى، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان مطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م.
- (11) التليلي العجيلي، الطرق الصوفية والإستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية 1881م، 1939م، مجلد 2، منشورات كلية آداب بمنوية، تونس، 1992م.

- (12) جيلاني السايح عبد الله، صفحات من تاريخ ورقلة من أقدم عصورها حتى الاحتلال الفرنسي، دار الآمال، الجزائر، 2010م.
- (13) حرب أديب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري 1808م، 1847م، دار الرائد للكتاب، الجزائر، الطبعة 1، الجزء 1، 2007م.
- (14) حربي محمد، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة نجيب عياد صالح المثلوني، موفه للنشر، مصر، 1994م.
- (15) حزر الله محمد العربي، منطقة الزاب مائة عام من المقاومة 1830م-1930م، دار السبيل، 2008م.
- (16) خمار أحمد، تحفة الخليل في نبذة من تاريخ بسكرة النخيل، إصدارات الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية، بسكرة، 2008م.
- (17) زردوم عبد الحميد، تاريخ بسكرة الفرنسية 1844م-1963م، مديرية الثقافة، بسكرة، 2004م.
- (18) زوزو عبد الحميد، ثورة الأوراس، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م.
- (19) زوزو عبد الحميد، محطات في تاريخ الجزائر دراسات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية على ضوء وثائق جديدة، دار هومة، الجزائر، 2005م.
- (20) سعيدي مزيان، النشاط التبشيري للكاردينال لا فجييري 1867-1892، دار الشروق، الجزائر، طبعة 1، 2008م.
- (21) العربي إسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.
- (22) العربي إسماعيل، تاريخ الرحلة والاستكشاف في البر والبحر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.
- (23) عميرايو أحميدة وآخرون، آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في ح، و، ث 1954م، الجزائر، 2017م.

- (24) عميراوي أحميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844م-1916م، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009م.
- (25) العوامر إبراهيم محمد الساسي، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعليق الجيلاني بن براهيم العوامر، منشورات ثالة، الجزائر، الطبعة الثانية، 2009م.
- (26) غنابزية علي، الكفاح السياسي والعسكري للثورة التحريرية بالصحراء الجزائرية 1954م، 1962م، دار الثقافة، الوادي، د.س.
- (27) فركوس صالح، الحاج أحمد باي قسنطينة 1826م-1850م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.
- (28) فركوس صالح، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين 14ق.م 1962م، دار العلوم، عنابة، 2003م.
- (29) قداش محفوظ، الأمير عبد القادر، المؤسسة الوطنية للنشر، الجزائر، 2002م.
- (30) قنان جمال، نصوص سياسة جزائرية في القرن 19م (1830-1914)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م.
- (31) لونيبي رايح وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصر 1830م-1989م، دار المعرفة، الجزائر، الجزء الأول، د.س.
- (32) المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، منشورات رويبة، ANEP، الجزائر، 2010م.
- (33) مقالاتي عبد الله، المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر 1830م-1954م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، فيفري 2014م.
- (34) مياسي إبراهيم، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837م-1934م، دار هومة، الجزائر، 2012م.
- (35) مياسي إبراهيم، المقاومة الشعبية، دار المدني، الجزائر، 2008م.
- (36) مياسي إبراهيم، توسع الإستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1996م.
- (37) مياسي إبراهيم، قبسات من تاريخ الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر، 2013م.

38) مياسي إبراهيم، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م.

39) نجاح عبد الحميد، منطقة ورقلة وتقرت وضواحيها، الآمال للطباعة، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، تقرت، 2003م.

● باللغة الفرنسية

- 1) J.C Humbert : Sahara (Trass de l'homme), 1989.
- 2) Passager : Ouargla (Sahara constantinois), institut pasteur d'Algérie ,1957.
- 3) Zerdoum Abdelhamid : les Biskra et les France, Enterprise des arts graphique et de bureautique de Biskra, Alger, 1988.
- 4) Zouzou Abdelhamid : L'AURAS Au Temps De La France Coloniale Evolution Politique Economique et Sociale 1837-1839, Alger, 2002.

IV. المقالات والمجلات:

- 1) بلبروات بن عتو، "الاحتلال الفرنسي للأغواط وضواحيها سنة 1852م وجرائمه"، مجلة عصور الجديدة، العدد 06، 2012م.
- 2) بن حادة مصطفى، "السياسة التعليمية الفرنسية في الجنوب الشرقي للجزائر 1882-1914"، مجلة العير للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد 6، العدد 2، جامعة ابن خلدون، تيارت، جوان 2023.
- 3) بن حيدة يوسف، "الإمتداد الجغرافي والبعد الصوفي في مقاومة ابن ناصر بن شهرة 1851م-1875م"، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، المجلد 1، العدد 1، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، جانفي 2019.

- (4) بن محمذن علي، "الرحلات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء الكبرى الدوافع والعراقيل"، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 20، جامعة منتوري، قسنطينة، ديسمبر 2003م.
- (5) بن معمر محمد "الشريف بوشوشة: زعيم ثورة 1871م في صحراء الجزائر الشرقية"، مخبر البحث التاريخية، جامعة وهران.
- (6) بوعزيز يحي، "نماذج من مقاومة سكان الواحات"، مجلة الأصالة، العدد 41، جانفي 1977م.
- (7) بوقرين عيسى، "ابن ناصر بن شهرة رمز المقاومة الشعبية في الجنوب الشرقي الجزائري 1850-1875"، مجلة الباحث، العدد 17.
- (8) تلمساني يوسف، "التوغل الفرنسي في منطقتي الأوراس والزيان"، مجلة المصادر، العدد 22، الجزائر.
- (9) تواتي حسين، "دور قبائل الأغواط في مقاومة الاحتلال الفرنسي -قبائل الأرباع أنموذجاً-"، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، العدد 2، جامعة عباس لغرور خنشلة، 2020م.
- (10) دحدي سعود، "ثورة الشريف محمد بن عبد الله في الصحراء الجزائرية ومواجهة التحدي الإستعماري الفرنسي 1842-1895"، مجلة الباحث، العدد 1، المركز الجامعي الوادي، يونيو 2010.
- (11) سعداوي ليلي، "التحولات الاقتصادية والاجتماعية في مدينة بسكرة خلال الفترة الإستعمارية"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، المجلد 8، العدد 2، نوفمبر 2022.
- (12) سوداني عمار، "النشاط التنصيري بالصحراء"، مجلة الطالب، العدد 1، قسم التاريخ، جامعة الوادي، فيفري 2013.
- (13) شافو رضوان، "أساليب الإدارة الإستعمارية في إخضاع سكان مناطق الجنوب"، عصور الجريدة، العدد 11، فيفري 2014م.

- (14) شافو رضوان، "دور منطقتي وادي ريغ ووادي سوف في دعم وتموين منطقة الأوراس قبيل وخلال الثورة التحريرية"، مجلة البحوث والدراسات، العدد 9، منشورات المركز الجامعي، الوادي، جانفي 2010م.
- (15) شافو رضوان، "الاحتلال الفرنسي لمنطقة ورقلة وضواحيها القراءة في الدوافع والمراحل"، المركز الجامعي بالوادي.
- (16) شهرزاد رفاف، "الاستكشافات الأوروبية للصحراء الجزائرية من القرن 19م"، مجلة مدارات تاريخية، المجلد 1، بشار، أفريل 2019م.
- (17) العاتي حمزة، "بسكرة عبر التاريخ"، مجلة الزيبان، العدد 7، الجزائر، أفريل 1984م.
- (18) عطلاوي عبد الرزاق، "الصحراء الشرقية والسياسة الاستعمارية الفرنسية - قراءة في تاريخية الاحتلال-"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد 2، العدد 4، ديسمبر 2016م.
- (19) علالي محمود، "التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية -الأغواط أنموذجا"، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، العدد 1، جامعة الأغواط، جانفي 2019م.
- (20) عواريب لخضر، "بعض الحقائق عن مقاومة الشريف بوشوشة من خلال بعض المصادر المحلية ومنها شهادة أملاها بوشوشة على زملائه في سجانته"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد 17، 2014م.
- (21) عيسى بوقرين، "أضواء على مقاومة الشريف بوشوشة 1863-1875"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، جامعة الأغواط، جويلية 2019م.
- (22) غنابزية علي، "دور وادي سوف في معركة المقارين 1854م وآثارها على المقاومة المسلحة في المنطقة الجنوبية الشرقية"، مجلة البحوث والدراسات، العدد 1، منشورات المركز الجامعي، الوادي، 2010م.

- (23) قصيبة أحمد، "ابن ناصر ابن شهرة أحد أبطال ثورة 1871"، مجلة الأصالة، العدد 6، جانفي 1972.
- (24) كديدة محمد مبارك، "مجالات اهتمام الكتاب الغربيين بمناطق أقصى الجنوب الجزائري (هنري دوفيري نموذجا)"، مجلة آفاق علمية، العدد 11، المركز الجامعي تمراست، جوان 2016م.
- (25) كركار عبد القادر، "الصحراء الشرقية الجزائرية وأهميتها الإستراتيجية خلال المقاومة الشعبية 1837-1883"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، العدد 1، جامعة الوادي، الجزائر، 2020م.
- (26) مرجاني عبد القادر، "مقاومة الشريف محمد بن عبد الله 1851-1871 على ضوء كتاب الفرنسيون Les Français dans le d désert"، مجلة الباحث، العدد 3، المركز الجامعي آفلو، الأغواط، الجزائر، 2020م.
- (27) نايت قاسي لياس، بلقاضي مليكة، "قراءة في الاستراتيجية الاستعمارية الفرنسية لاحتلال الأغواط 1852م"، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 2، الجزائر، 2020م.
- (28) وابل بختة، "جوانب من الحياة الاجتماعية والثقافية في الصحراء الجزائرية من خلال كتابات الجنرال أوجين دوماس في حولية استيطان الجزائريين 1852-1853"، مجلة عصور جديدة، المجلد 11، العدد 3، نوفمبر 2021م.

v. الرسائل الجامعية:

- (1) بلخضر نفيسة، مدينة ورقلة ودورها في تجارة قوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر ميلادي، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة غرداية، 2016م.
- (2) بوغرارة هبة الله، الأوضاع الاجتماعية والثقافية لمنطقة تقرت في العهد الإستعماري 1854م-1962م، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2022م.

- (3) بوقرين عيسى، المقاومة الشعبية في الجنوب الشرقي الجزائري 1850-1875، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، أبو قاسم سعد الله، 2019م.
- (4) حباش فاطمة، سي الأعلى بن بكر القائد العسكري لثورة أولاد سيدي الشيخ 1820-1896، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، وهران، 2005م.
- (5) دحدي سعود، البعد الجهادي المغاربي للطريقة السنوسية 1842-1931، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر، 2010.
- (6) شافو رضوان، الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الإستعماري ورقلة أنموذجا 1844-1962، مذكرة دكتوراه في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، 2012م.
- (7) شافو رضوان، مقاومة منطقة تقرت وجوارها للاستعمار الفرنسي (1852-1876)، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007م.
- (8) شريف داود، التوسع الإستعماري الفرنسي في الجنوب الجزائري 1844-1912، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2016م.
- (9) شلبي شهرزاد، ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر، مذكرة ماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009م.
- (10) عريق صفاء، المشاريع الفرنسية في الصحراء الجزائرية خلال الثورة التحريرية (1954-1962)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة محمد خيضر، بسكرة.
- (11) عناق جمال، المنشآت المائية وطرق استغلالها في منطقة الزاب الشرقي، مذكرة ماجستير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2009م.

- (12) غنابزية علي، مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1882-1954، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2009م.
- (13) موسى بن موسى، الحركة الإصلاحية بواد سوف نشأتها وتطورها (1900-1962)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة المنتوري، قسنطينة، 2006م.

فہرس المکتوبات

فهرس

6	مقدمة
ز	الفصل التمهيدي: لمحة عامة عن إقليم الجنوب الشرقي الجزائري
8	المبحث الأول: الموقع الجغرافي للجنوب الشرقي
Erreur ! Signet non défini.	المبحث الثاني: دوافع احتلال الجنوب الشرقي
18	المبحث الثالث: البعثات الاستكشافية نحو الصحراء الشرقية
20	الفصل الأول: بدايات توغل الإستعمار الفرنسي نحو الجنوب الشرقي
21	المبحث الأول: الاحتلال الفرنسي لمنطقة بسكرة
26	المبحث الثاني: الإحتلال الفرنسي لمنطقة الأغواط
32	المبحث الثالث: الإحتلال الفرنسي لمنطقة ورقلة
39	المبحث الرابع: الإحتلال الفرنسي لمنطقة وادي سوف
43	الفصل الثاني: الأساليب الإستعمارية الفرنسية في الجنوب الشرقي الجزائري
44	المبحث الأول: السياسة الاجتماعية
49	المبحث الثاني: السياسة الاقتصادية
55	المبحث الثالث: السياسة العسكرية
58	المبحث الرابع: السياسة الدينية والتعليمية
64	الفصل الثالث: أبرز المقاومات الشعبية في الجنوب الشرقي
65	المبحث الأول: مقاومة الشريف محمد بن عبد الله
73	المبحث الثاني: مقاومة ابن ناصر بن شهرة
79	المبحث الثالث: ثورة الشريف بوشوشة
86	خاتمة
90	الملاحق
100	قائمة المصادر والمراجع
111	فهرس المحتويات

ملخص:

يتميز إقليم الجنوب الشرقي الجزائري بموقع إستراتيجي هام الذي جعل منه عرضة و مطمعا للإستعمار الفرنسي للزحف من خلاله إلى بقية الصحراء الجزائرية، لم يكن هذا هو السبب الوحيد الذي جعل الإدارة الفرنسية توجه أنظارها نحوه، إنما تنوعت وإختلفت أسبابها ودوافعها لإحتلال هذه المنطقة والتي تعبر أبرز هذه الأسباب إلى أسباب إقتصادية وعسكرية وكذلك أسباب سياسية، وقد لعبت البعثات الإستكشافية التي قام بها الفرنسيون في الصحراء الشرقية دورا كبيرا في تسهيل عملية الإستيلاء عليها، حيث كانت في ظاهرها ذات طابع تجاري لكن الهدف منها هو التعرف على خبايا المنطقة نظرا لجهلهم لواقعها الطبيعي والسياسي، كانت بسكرة عروس الزيبان هي أول منطقة من الجنوب الشرقي تقع في أيدي المحتل الفرنسي وذلك سنة 1844م، وتبعتها الأغواط في 04 ديسمبر 1852م ثم بدأوا بالتوسع تدريجيا إلى باقي المناطق، فكانت منطقة ورقلة محطتهم التالية سنة 1854م وصولا إلى وادي سوف في نفس السنة.

ولتثبيت دعائمها بالجنوب الشرقي الجزائري وضعت مخطط يحتوي على جملة من السياسات والأساليب إختلفت في مضمونها لكنها كلها تخدم هدف واحد وهو السيطرة الكلية على المنطقة وتمثلت هذه السياسات في: السياسة الاجتماعية التي حاولت من خلالها الإدارة الإستعمارية ضرب مجتمع الجنوب الشرقي في أعماقه وزرع الشقاق والعداء بين أبناء البلد الواحد، السياسة الاقتصادية التي حاولوا من خلالها إفقار الأهالي عن طريق القوانين الإقتصادية التعسفية ضدهم، وإستغلال ثروات المنطقة لصالح فرنسا على حساب الأهالي، أما فيما يخص السياسة العسكرية فقد أنشأت القواعد والأبراج والمحميات بالإضافة إلى إنشاء مصلحة للسيارات العسكرية وكذا مصلحة للطيران الفرنسي، في الجانب الديني عملت بشتى الطرق لنشر المسيحية وطمس الهوية الإسلامية من المنطقة وحتى التعليم كان يقتصر على التعليم الفرنسي فقط ليس لخدمة للأهالي بل كانت تجهز طلاب مدارسها من أجل خدمة مصالحها في المستقبل، أما عن ردود الفعل المحلية فكانت تتمثل في المقاومات الشعبية التي كان من أبرزها: مقاومة الشريف محمد بن عبد الله، ومقاومة ابن ناصر بن شهرة، وأخيرا ثورة الشريف بوشوشة.

الجنوب الشرقي، السياسة الفرنسية، التوغل، المقاومات الشعبية، دعائمها العسكرية.

Abstract

The south-eastern region of Algeria is characterized by an important strategic position that has made it vulnerable and ambitious to French colonialism to crawl through to the rest of the Algerian desert. This was not the only reason why the French administration drew its attention to it, there are also economic, military and political reasons. Moreover, French exploratory missions in Eastern Sahara played a major role in facilitating the takeover process, which, on its surface, was of a commercial nature, but the aim behind it was to identify the region's invisibles because of their (French people) ignorance of its natural and political realities. Al-Ziban in Beskra was the first area of the south-east to fall into the hands of the French occupier in 1844, followed by the Agouat on December 04, 1852, and then began gradually expanding to the rest of the area. Wargla was their next spot in 1854, and reaching Wadi Souf the same year.

In order to consolidate its foundations in the south-east of Algeria, it has drawn up a blueprint containing a number of policies and methods that differ in content, but all serve the same objective: total control of the region. These policies are as follows: Firstly, the social policy through which the colonial administration attempted to strike the south-eastern society deep down and sow discord and hostility among the country's citizen. Secondly, the economic policy through which they attempted to impoverish people through arbitrary economic laws against them, as well as exploiting the region's wealth for the benefit of France at the expense of the people. Concerning the military policy, they had established bases, towers and reserves, in addition to establishing a military automobile service and such an interest in French aviation. On the religious side, they worked in various ways to spread Christianity and obliterate Islamic identity

from the region. Even education was limited to French education not only to serve the people, but also to equip the students of its schools to serve its future interests. As for local reactions, it was popular resistance, the most notable of which was: The resistance of Sharif Mohammed bin Abdullah and the resistance of Ibn Nasser bin Shakra and finally the revolution of Sharif Bouchouha.

Key words:

South-eastern, French politics, Incursion, Popular resistance, Its military supports.